كتاب

إنسان المؤمنين وإنسان الملحدين
رد علي نظرية دارون

للإمام /محمد ماضي أبو العزايم

قام بنشره اليكترونياً
أ.د/ احمد جمال ماضي أبو العزايم

www.mohamedmadyabouelazayem.com

الباب الأول
الأدلة علي بطلان الزعم بأن الإنسان أصله قرد

١- علم التشريح حجة علي بطلان هذا المذهب وسخافة القائلين به:

إنك أيها المدعي لتري الفرع أنقص من الأصل بالحس، هذا البغل فرح الحمار والحصان وهو أنقص منه لأنه فقد المبيض (تجويف في الرحم يكون به التوالد) وتري الحيوانات التولدة من نوعين تفقد كثيرا من حقائقها بالحس، ولكنك أيها الإنسان تري الفرع الذي هو أنت أكمل في الحقائق من الأصل الذي هو القرد، فإنا إذا شرَّحنا منصف رأس الإنسان ورأس القرد، نجد في رأس القرد أربع غدد: غدة للسمع لو مسَّت بمفرق لسلب السمع، وغدة للبصر، وغدة للشم، وغدة للذوق. ويري في رأس الإنسان خمس غدد: أربع منها للسمع، والبصر والشم والذوق، والخامسة غدة هي خزانة نطق اللسان وهذه مفقودة في القرد، فمن الذي أودع تلك الغدة في رأس الفرع وهي لم تكن موجودة في الأصل؟ !! حتى أن تلك الغدة لو فسدت لخرس اللسان.

والإنسان كما يدعي هذا المضل فرع القرد، وفرع الشيء قد لا يبلغ كماله النوعي الا بعناية فكيف يزيد عليه؟!!

٢- تنوع الحقيقة وصفا وهيئة أكبر هدم لنظرية داروين:

فالإنسان حيوان إلا أنه

أ- طويل القامة
ب- عريض الأظافر
ج- ضاحك بالطبع

والقرد حيوان يفارق الإنسان في الهيئة وبعض الصفات وهذا هو التنوع

٣- إن المجتمع الإنساني غير عالم الحيوان

إذاً في المجتمع الإنساني نظام وترق، فالإنسان جملة الله بمعاني العلم والحكمة والعدالة والرحمة، وصاغ الله نفسه من أصفي الجواهر النورانية، وجعله وسطا، وأيده بروح وقوة منه سبحانه ليدفع ظلم الظالمين، ويكبح جماح النفس الشهوانية والغضبية، ويحفظ الثغور، ويقيم الحدود، ويقطع شأفة ما يضر بالقوة النفسانية كالخمور والمخدرات وما يضر بالأموال كلعب الميسر، وما يضر بالاجسام ويمحو الخلافات الناتجة بسبب الغلو في الدين وأهل الآراء الباطلة.

وليس في علم الحيوان شيء من ذلك...
فكيف يكون الفرع أعلي من أصله وهو القرد؟!!

٤- جعل الله الإنسان جوهرة عقد المخلوقات:

خلق الله الإنسان بيديه في أحسن تقويم مبناه ومعناه: أما مبناه فمن كل معادن الأرض، فجمع أركان الوجود الماء والتراب والهواء والنار ذلك هيكله، وأما معناه فقد جمع الله فيه حقائق الوجود سماء وأرضا، فالإنسان شيطان وأضل، ووحش وأضر، وملك وأفضل.

فسبحان من أظهر عجائب قدرته، وغرائب حكمته، في مبدع بدأ خلقه من سلالة من طين، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين.

وللعقول أن تحار في الإنسان، فبينا تراه وروحه في ملكوت الله الأعلى سابحة، مشرفة علي قدس العزة والجبروت، إذا بك تراه في أسفل سافلين، أضل من الأنعام، بل فوق عالين(سورة آل عمران آية ١٣٩)

هذا هو الإنسان الذي خلقه الله ليعمر به ملكه وملكوته، وجعل الأرض له مقرا للإقامة، ومستقرا له بعد الموت، ثم ينشئه النشأة الثانية فيمنحه الملك الكبير.

وقد سخر الله الإنسان كل ما في الملك والملكوت، وصرفه تصريف الربوبية في الملك، لذلك جعل الله الإنسان خليفة عنه في هذا العالم، ووعده عند الاستقامة أعظم الكرامة (سورة الإنسان آية ٢٠).

وخلق الله لبني آدم كل ما لابد لهم منه في حالتي الضروري والكمالي، ولا مانع من أن الله وضع في كل حقيقة كون منها الإنسان علما ضروريا بكل الأشياء اللازمة لتلك الحقيقة، فما من كائن في الوجود إلا والإنسان محتاج إليه، لا فرق بين ما في السماوات من أفلاك وغيرها، وما في الأرجاء من المكونات، وما في الأرض من نبات وحيوان وجماد، وما فوق ذلك من جمال الملكوت، وما في الجنات من نعيم مقيم، لذلك كانت معرفة الإنسان وعلمه، بينما الحيوان لا يعلم شيئا من ذلك كله.

٥- خلق الله تعالي حواء من ضلع آدم:

كانت حواء فرعا، وكان أصلا لها، وهذا هو الذي لأجله خلقت من ضلعه ليحصل منه السكون إليها، والحب منها له، فإن كل فرع يحب أصله، وكل أصل يحب فرعه، كما يحب الولد ولده، والوالد ولده في أصل الفطرة.

٦- الإنسان ديني بفطرته:

قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: (كل مولود يولد علي الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)[1] فكان الإنسان يولد مؤمنا كامل الإيمان لاستئناسه (بألست) (سورة الأعراف آية

[1] رواه البخاري في كتاب الجنائز ٨٠، ٩٢ وكتاب تفسير القرن " تفسير سورة الروم" الباب الأول ومسلم في كتاب القدر الحديث ٢٢،٢٤،٢٣،٢٥، وأبو داود في كتاب السنة الباب ١٧ والترمذي في كتاب القدر الباب الخامس والموطأ في كتاب الجنائز الحديث ٥٢ وأحمد في الجزء الثاني صفحة ٢٣٣، ٢٧٥، ٣٩٣، ٤١٠، ٤٨١ والجزء الثالث صفحة ٣٥٣.

١٧٢) ومعلوم أن نور الحكمة حظر شهوده علي الإنسان إلا بوحي، وقد تفضل الحق سبحانه فأرسل رسله المؤيدين بالمعجزات، فكأن المعجزات في قوة قوله تعالي: (صدق عبدي هذا وهو رسولي إليكم فاتبعوه).
أيكون في الفرع ما ليس في الأصل؟ !!
وأين دين القرود أو تدين الحيوان؟ !!

والإنسان هو المحجوب بالأدران النفسانية، المبعود بالحظوظ الحيوانية، لا يذوق لذة الإيمان، ولا حلاوة الإحسان، بل ويدعوه الغرور إلي الانشغال بالنعم عن المنعم، فإذا أذاقه الله ألم الاحتياج يئس وباع دينه بدنياه، حتى يزكي نفسه بنور التسليم والانقياد ودراسة العلم النافع.
فأين هذه المعاني في الأصل المزعوم؟!!

٧-في الإنسان قوي مفارقة:

منها العقل العلمي وهو الذي يستنبط ما يجب فعله من الأفعال والإنسانية، ويقيس الأشياء والنظائر التي لم يرد بها نص.

ومن تلك القوي أيضا العقل العلمي وهو الذي يتم به جوهر النفس، وتصير نفسا طاهرة زكية بالفعل، وتتفاوت مراتبه فقد يكون بالوهب أو بالكسب.

تلك القوي التي تدرك المعقولات روح مجردة ليست بجسم، وتلك الروح تبقي بعد موت البدن لأنها ليست قابلة للفساد وهي المعنية بقول الله تعالي: (سورة الحجر آية ٢٩). وقوله تعالي: (سورة الفجر آية ٢٧-٣٠)
وليس ذلك في القرد أو غيره من الحيوان.

٨- طرق العلم هي الخبر الصادق:

الحس الصحيح، والعقل الكامل، معني قوله تعالي: (سورة النحل آية ٧٨)ز فجعل سبحانه الأسماع للخبر الصادق، والأبصار لشهود الأكوان الدالة علي مكونها سبحانه، والقلوب لفقه الآيات الدالة علي القادر الحكيم المصور البديع المنعم، ومن تمام الفضل الإلهي إرسال الرسل معلمين للخير دالين عليه.

فأين ذلك في الأصل المزعوم، والجد الموهوم، القرد وأشباهه؟!!

٩- في النوع الإنساني تظهر الصورة:

في النوع الإنساني تظهر الصورة الكاملة والصور الأكمل أمثال الأنبياء والمرسلين، وهو أعلي من الملائكة قدرا، حتى لقد سجدت الملائكة لآدم عليه السلام، وتميزت رتب البشر من الأنبياء والرسل منهم من كلم الله، ومنهم من أيده بروح القدس، ومنهم من لا يعرفه إلا الله قدرا ومكانه.

فهل هذا في عالم القردة؟!!

وفي النوع الإنساني وجد عيسي عليه السلام بلا أب، ووجد آدم عليه السلام بلا أب ولا أم، ووجد الناس جميعا من أب وأم.

فزعم الضالون أن كل مولود لابد له من والد، وعلي هذا فإما يكون ابن زنا وذلك مستحيل عادة وعقلا؛ لما أتي به من المعجزات الباهرة.

فهل وجد في عالم القردة الأجداد أمثال هؤلاء الأمجاد؟!!

١٠- أنتجت الضرورة العلم والتعاون:

لابد من قانون يحكم العلاقات، وإلا خرب العمران من التقلب في الرذائل والعدوان، والإنسان يحكم علي الأبدان، أما تزكية النفوس فذلك لله ومن هنا جاءت الشرائع.

فهل في عالم القردة شريعة؟!!

كما جاءت الشرائع مواكبة لتطور بني آدم عبر العصور مثلا جاء نوح لهدم عبادة الأوثان المتفشية في زمنه، ثم لوط لينذرهم عاقبة الفاحشة المنتشرة فيهم، ثم صالح ليعلمهم العدل والمساواة وجهل له الناقة آية، ثم سيدنا إبراهيم ليطهرهم من رجس الشرك ويوجههم إلي الله تعالي، ثم موسي عليه السلام، فلما غالوا في الماديات أرسل سيدنا عيسي عليه السلام ليمحي تلك البدع بما جاءهم به من الحكمة والبيان، كما أرسل شعيبا ليعلمهم خلق الوفاء في الكيل والميزان، حتى بعث الله خاتم رسله بالقرآن تبيانا لكل شيء من ضروريات وكماليات الإنسان، بل وفضائله النفسانية وكمالاته الروحانية لنيل سعادة الأبد.

فهل مرت مراحل أجيال القردة بمثل هذا التطور أيضا؟

كما تطور القرد حتى صار إنسانا؟!!

١١- كل الوجود مراتب يعلو بعضها بعضا:

لكل الوجود مراتب يعلو بعضها بعضا، فالنبات وسط بين أنواع المعادن والحيوان، فهي تزيد عن المعادن بالنمو وتنقص عن الحيوان بالحس والحركة، ولأن النبات تصادمة الأجسام الصلبة ويقطع الإنسان منه فلو وهبة الله الحس لكن عذابا له، فتأمل مراتب الوجد يخدم بعضها بعضا، والإنسان وحده بحكمة القادر الحكيم هو سيد هذه الكائنات.
فكيف للقرد أن يصل إلي هذا الرقي؟! ولم لم يصل غيره من الحيوان لمرتبه أعلي أو أدني؟!!

١٢- ارتقاء النفس في الهيكل:

إن تطور الهيكل من فرد لإنسان، فكيف ارتقت النفس التي في هذا الهيكل بحيث أصبح الإنسان لو تعلقت همته بجه مما أعَد لها في أحسن تقويم أو أسفل سافلين نالها؟!! فهو إما مَلَك هائم في جلال ربه، وإما غضوبا كسبع، أو كسولا كبقر، أو جزعا ككلب، أو حقودا كجمل، أو جامعا لكل تلك الصفات فيكون شيطانا مريدا وهو في صورة إنسان.

ومعلوم أن النفس هي اللطيفة النورانية، بل هي أمانة الله المشرقة أنوارها في هيكل الإنسان، يعرفها من عرف نشأته الأولي، وتحقق أن أسفل سافلين مفارق لأعلي عليين، وكيف جمع الله بينهما بقهر واقتدار، وجعل أسفل سافلين يرتقي حتى يخدم بالملائكة المقربين في جوار رب العالمين.
وتلك المعاني في الإنسان فقط فلا يدريها الحيوان
فهل يدرك القرد ذلك؟!!

١٣- من أين جاءت القوي المتنوعة في الإنسان وليس لها في القرد وجود؟!!

أنظر مثلا: (سورة النحل آية ٨٧).

ثم انظر القوي الغاذية للطفل في بطن أمه، ثم يوهب قوي الحس بأنواعها، ويجعل له قوة الميل فيشتاق قلبه غلي ما يحبه ويكرهه، ثم يجعل له سبحانه القوة المتخيلة وهي تركب وتفصل، ثم قوة الميل لما تخيل أو الميل عنه، ثم القوة الناطقة وهي الحقيقة الخاصة للإنسان المميزة له عن بقية أنواع الحيوانات، وهي التي يمكن أن يعقل بها المعقولات، ويميز بين الجميل والقبيح، وبها يحوز الصناعات، ثم يمده الله بقوة في قلبه يميل بها غلي ما يعقله، ويشتاق إلي أن يتجمل بالحكمة وأسرارها.

ومن المعلوم كذلك أن القوي: قوة الشهوة، وقوة الحمية، وقوة الفكر.

فبإصلاح قوة الشهوة تحصل العفة، فيحترز بها من الشره، وإماتة الشهوة، ويتحري المصلحة في المأكول والمشروب.

وبإصلاح قوة الحمية تحصل الشجاعة، فيحترز من الجبن والتهور والحسد، ويتحري الاقتصاد في الخوف والغضب.

وبإصلاح قوة الفكر تحصل الحكمة، حتى يحترز من البله والخبث ويتحري إصلاح هذه القوي تحصل في الإنسان قوة العدالة قال صلي الله عليه وسلم: " أعدي عدوك نفسك التي بين جنبيك".

هل ارتقي القرد حتى نال هذه المنازل الرفيعة؟!!

الباب الثاني
لا تنبشوا القبور في عصور النور
فتفتحوا أبواب الشرور

أفق العقل:

إن الله- سبحانه وتعالي-خلق الإنسان مفكرا عاقلا؛ فيعمل في جلب ما ينفعه في عالم الكون والسعادة من قوت؛ ولباس، ومسكن حفظا لصحته أو استرجاعا لها إذا ألم بها السقم؛ وخلقه

مفكراً ليبحث بعقله في الغاية التي خلق مؤهلا لها، والحكمة التي أوجد لأجلها، وكيف خلق ولم خَلَقَه- ولما كان العقل لا يصل إلا إلي ما يستنتجه مما حكم عليه بحسه، وكان الحس لا يدرك إلا ظواهر الكون فليس للعقل- وإن كمل- أن يقتبس من الغيب المصون إلا بقدر ما وصل إليه من أنواع الكائنات المختلفة بحسب مراتب الوجود بأن دائرة اختصاصه الجمادات، والنباتات، والحيوانات، وقد بلغ البحث إلي أن حكم بأن ما يحس بتأثيره ولم يره هو الجن.

الإنسان حيوان ديني بالطبع:

لما كان الإنسان حيوانا دينيا؛ كان يعبد ما ينفعه من المادة أو ما حكم عليه بالوهم مما شعر بتأثيره فقد عبد الأنهار، وعبد الحجار، وعبد البقر، ولما اتسعت دائرة الوهم عبد الصور، حتى قوي العقل فعبد الأفلاك، ثم عبد الملائكة، ثم عبد الإنسان ولو أن العقل له سلطان علي الغيب المصون لما ضل الإنسان هذا الضلال وجال العقل جولته فيما حوله فقهر المادة واستخدمها حتى كان السلطان الأكبر عليها وعلم خواصها، وفوائدها، وتحليلها، وتركيبها فعلم أنه فوقها قدرا وأنها دونه منزلة ولكن(سورة عبس آية ١٧) هذا هو العقل الإنساني لم يصل إلي علم خواص المادة بما أودعه الله فيه كما انتفع كل نوع من الحيوانات بما أودعه الله فيه بقدر رتبته فالإنسان بقدر ضروراته انتفع. هذا أفق العقل وليس له أن ينفذ من أقطار السموات والأرض ليطلع علي الغيب المصون إلا بسلطان؛ لذلك أرسل الله الرسل مبشرين ومنذرين (سورة النساء آية ١٦٥).

الكون دلائل حكمة واقتدار:

قال الله تعالي(سورة الكهف آية ٥٠) وقال سبحانه وتعالي(سورة مريم آية ٥٧) وإني أعوذ بالله من جحود الحق بعد اتضاحه، ومن كفران نعمة المنعم بعد إسباغها، ومن توفير النعم وراحة الأبدان من العمل اللذين يعميان الإنسان عن المنعم المتفضل ويجعلانه يستعين بهما علي جحود الحق وإنكاره. إن الله جل جلاله أظهر قدرته وحكمته لمت له أدني بصر وأقل بصيرة، فخلق الإنسان بعد أن هيأ له لوازمه فمهد له الأرض منبسطة أمامه لينتفع بها في ضرورياته وكمالياته، وخلق له الهواء الذي لا غني له عنه نفسا، وخلق له النباتات التي بها قوام جسمه داخلا وخارجا، وخلق له الحيوانات التي بها تيسير كمالياته، وخلق له الماء الذي جعل منه كل شيء حي، والمعادن التي بها فتح كنوز الأرض، وخلق له الماء الذي جعل منه كل شيء حي، والمعادن التي بها فتح كنوز الأرض، وخلق له جو متنائي الأطرف، وسقفا نثر فيه أنجما لا تحصي عدا، وشمسا تضيء أبدا يراها منتسقة انتساق العقد سابحا في في أفقها بأكمل انتظام، لكل كوكب منها منافع جمة وفوائد لا تحصي يراها بلا عمد يرفعها لا يتخل نظامها ولا يتحول مدارها بحيث لو فقد الإنسان حقيقة من تلك الحقائق لفقد الحياة علي الفور؛ وهذا النظام البديع الصنعة حجة تنادي: لم أُوجد عبثا إذ لو وجدت عبثا لما كان هذا التدبير لبقائك أيها الإنسان ولما وجدت تلك الحقائق لحفظك ممتعا بالراحة والأمان!!

نظرة فيما حولك:

وإنا لنجد أن سياسة المجتمعات وتدبير نظامها بل نجاح الأعمال متوقف علي حكيم مدبر يبرز تلك الصور بعد إرادة سابقة وتدبير وقدرة عجيبة وإرادة غريبة ولكن" قتل الإنسان ما

أكفره"، إني لأعجب كيف ينحط الإنسان إلي أن يكون أضل من البهائم الراتعة، وأذل من الجمادات السفالة، ويحك يا إنسان! إن أكبر باحث علم خواص الأجسام الحية يجهل وظيفة الطحال ويعجب مما أودعه الله في جسمك من الغدد لتي بعضها يفرز المرارة، وبعضها يفرز الحلو، فالحامض، فالمذ، فالحريف، فالغض، فالعفص بحيث لو ضعفت غدة عن إفراز مادتها لا عتل الجسم واختل الميزان!!

هلا زكيت نفسك أولا؟:

إن الحق يا إنسان ظهر لك جليا فأعجزك عن إدراك عقلك الذي به تعقل لتعلم أن فيك قوة عاملة تعجز عن إدراكها وهي بين جنبيك، وحكم عليك بالجهل المطلق لأنك جهلت نفسك التي بها أنت إنسان تتصرف في كل شيء في السموات والأرض، وتستخدم بها كل من دونك من العالم حتى تبلغ تزكيتها مبلغا تخدمك فيه ملائكة السموات، وتبلغ بتزكيتها مقاما تشرف فيه علي قدس العزة والجبروت، مشاهدا وجه ربك العلي الأعلى علمت يا إنسان سير الغذاء من فمك إلي خروجه من الدبر، وشهدت الأعضاء وسير الطعام وعلمت وظائفها وخواصها، فهل اطلعت علي حكم بدائع صنعتها وذقت حلاوة سر ما في كل جزء منها وفهمت عناية الله تعالي بك فيما أنشأ وأبدع وفيما أكرمك به ورفع قدرك بين العوالم؟!

تطور العبادة:

معلوم أن الأمم الغابرة عاشت قرونا طويلة في مهاوي الجهالة وتيه الضلالة، لم يبعث الله منهم رسولا، ولم يقم منهم عالما مفكرا، ومكثوا في تلك الجهالة العمياء حتى عبدوا الأصنام، وكانت عبادة الأصنام خيرا مما كان عليه قومهم، ثم ارتقت الأفكار فاتخذوا النجوم آلهة ثم ارتقت الأفكار فاتخذوا الشمس إلها حتى رأوا أن الملك الحاكم عليهم هو الإله ولذلك تري أن في تاريخ الفراعنة ما يدل علي أن الآلهة حكموا مصر ثماني عشر ألف سنة وأن الإله أوزوريس "أبو الآلهة" علمهم الزراعة، وأجري لهم النيل وأن الإله "أوزيس" علمتهم غراسة الكرم، وأن الإله "آمون راع" "ابن الإله" بين سبل العدل بينهم حتى اتخذوا الملوك آلهة بعد. ومن هذا الزمن ظهر التثليث في بني الإنسان، وقد وجد في آثار الهند الثالوث المقدس رمز إلي التثليث وهو ثلاثة رؤوس علي جسم واحد. مكث الإنسان يتخبط لأنه ديني فلا يظهر بين الإنسان رجل يفكر باحثا وتلوح له ظلمة هي أقل مما هم فيه من الظلمات إلا قلدوه.

وليس تاريخ الأمم الغابرة ببعيد. كل هذه البلايا أساسها اعتناق دين باطل فمحا الله تلك الظلمات والضلالات عمن اقتدوا بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وكان كل نبي إذا مات نسخت شريعته وضعف أباعه عن تأييد سنته وانتشار دينه، حتى بعث الله خاتم النبيين بالحق بشيرا، ونذيرا. وسراجا منيرا.

وأراد الله تعالي أن يبقي نوره علّيا ودينه جليا، ولكن لا يزال علي الأرض أمم أشرقت عليهم تلك الأنوار فعميت عنها عيون عقولهم التي هي أقل من عيون البهائم، ونشأ بينهم رجال مفكرون يبغضون ما جاء به رسول الله صلي الله عليه وسلم من الحق تقليدا لآبائهم، لأنه لا تقبله عقولهم فمالوا بحسب الظلمة الطبيعية فيهم، والعصبية التي اكتسبوها بمعاشراتهم فقرؤا كتب اليونان، والفراعنة، والفينقيين، والفرس، والهنود، والصينين وتلك الأمم لم يبعث الله فيهم رسولا ولا منهم وكانوا يتخبطون خبط العشواء في البحث عن الحق الذي هو مقصد الإنسان؛ ومن أين لتلك العقول أن تصل إلي الحق من غير الحق جل جلاله؟! إن الله تعالي

أغنانا بالقرآن الجليل، الذي سجدت له عقول فطاحل البلغاء، انقادت لنوره أهل العقول السليمة واستبانت لنا به حقيقة الإنسان وحكمة إيجاده وإمداده. بلغ بهم الجهل بحقيقتهم، والعمى عن نور مبدعهم وخالقهم، إلي أن جعلوا أصل الإنسان قردا، وإنا لنكره أن نري إنسانا يعتقد هذه العقيدة حزنا علي تلك الصور الإنسانية كيف تنحط إلي الدرك الأسفل من النار وهي مؤهلة أن تكون في مقعد صدق عند مليك مقتدر؟!.

الأوربيون صورهم إنسانية وحقائقهم حيوانية:

أنت أيها الإنسان يكون أبوك أو أخوك تاجراً وتكون محتاجاً إلي شراء ما يتجر فيه فتتوجه للشراء منه، فإذا لم يكن الثمن أقل مما عند غيره أبيت أن تشتري منه أو وجدت في نفسك عليه، وامتنعت من الشراء منه وهو أبوك الذي يملك نفسك ومالك، وإنك لو اشتريت منه بأضعاف ما تشتري به من غيره لكنت فاعل خير. ولكن العقل يأبي علي العاقل أن يقبل إلا ما فيه الخير له في حالة ومستقبله وما يري نفسه راضية بقبوله. فكيف يمنعك عقلك أن تشتري من والدك بأكثر مما تشتري من غيره، والذي خسرته لوالدك شيء زهيد؟ وترضي أن تبيع نفسك الكريمة ونور عقلك وشرفك ومجدك ومالك بالتسليم والانقياد برجل ذي عقيدة تقول للعقل: اقبلني قهراً عنك! وذي أعمال تقول للنفس الطاهرة الزكية: فارقي هذا الجسد الإنساني ليحل محلك نفس بهيمية لا تفكر ولا تبحث ولا تعمل لغد! ثم تقول للشرف الإنساني والغيرة: فارقا هذا الهيكل الإنساني، فإن من بني الإنسان من حل فيهم الرب فجعلهم منزهين عما هو من فطرة البشر لأن الرب حلَّ في جسمهم فصارت قواهم الحيوانية ممزوجة بصفات الرب، فلا ينتصب ذكر الواحد منهم ولم أدخله في فرج امرأة، ولا يشتهي مالا ولا طعاماً ولا لباساً، فتسمع النفس وتطيع ويأبي العقل فيقهر حتى يفارق هذا الجسد الإنساني ويأخذ معه الغيرة والشرف فيصبح الإنسان مجرداً من النفس الفاضلة الطاهرة، ومن نور العقل المضيء له، ومن شرف الفضيلة وغيرة الكرامة، ويصبح والصورة صورة إنسانية والحقيقة كما قال " دارون" حقيقة قرد يحاكي ما يلقيه عليه سيده الذي جعله آله لسلب الأموال. وكذلك أهل الأديان التي حاربت العقول ليسوا أناسي وإنما هم قردة، وقد أخبر الله عنهم بقوله(سورة الفرقان آية ٤٤) وقوله تعالي: (سورة المائدة آية ٦). فإذا فسرنا القرآن بالقرآن يظهر لنا أن الإنسان إذا قبل الدين الذي يقهر عقله وسلم له كان كالقرد يحاكي فقط أو كان أضل من الأنعام.

دين أوربا يرغب في العيشة الحيوانية:

لا تعجب فأكثر أهل أوربا تلاميذ دَارون، وقد كادت تلك الحقيقة تكون مقررة في أذهان نصارى الشرق، لأن تعاليم الدين المسيحي ترغب في العيشة الحيوانية، وهو يعتقدون أنه ابن الله فلم يرغبهم في العيشة الحيوانية إلا ليرجعهم إلي أصولهم. أستغفرك اللهم من حكاية أقوال من لا يعقلون، وأعوذ بوجهك الكريم من أن أقصد الشر لأحد من بني الإنسان. اللهم وأنت سبحانك تعلم لا غيرك أني لا أريد إلا الخير، فانزل يا إلهي بياني هذا من قلوب الذين ينتقدون علينا منزلته من قلبي من القبول وأحفظني.

ولما كان الدين المسيحي أوجب علي الناس ترك الدنيا وكرههم في العمل لها فيها، وأخبر أن الغنيّ لا يدخل الملكوت، ولم يتزوج أما تلاميذه ولم يأمر أحداً منهم بالزواج وكان يتناول

طعامه من أيدي الناس بلا عمل كان ولا بد أن يأمر بترك الزواج مرة واحدة أو بتزويج واحدة فقط، وإلا مات الناس جوعاً، لأنه لم يأمر بتعليم الصناعة والحرف ولا بالزراعة ولا بالعمل مطلقاً للدنيا فيها. فكأن دين المسيح دين الكسل والبطالة والرهبانية، وسكني الغابات والكهوف. ولذلك تري أن أهل الأفكار منهم طالعوا التعاليم المسيحية التي تحتم علي بني الإنسان أن يترك الحضارة والمدنية والتمتع بنعم الله من الائتلاف والتعاون، حكم أن أصل الإنسان قرد، وأنه لابد وأن يؤمر بالرجوع إلي ما كان عليه من العيشة في الكهوف والغابات وترك استكشاف أسرار الكائنات وخواصها للانتفاع بها، وإلا ما الذي دعا دارون أن يقول: إن أصل الإنسان قرد، ويقو مبرهناً بالبراهين التي تنبئ عن فساد العقلية واختلال تركيب أمزجته وضعف المجموعة العصبي.

مقتضيات التكوين:

نعم ليس بعجيب أن يجحد الإنسان موجده، أو ينكر من بنعمه وفضله أمده؛ لأن الحقائق التي كون منها الإنسان تقتضي أن يكون في الدرك الأسفل من النار. وإنما الإيمان والإقبال وذوق حلاوة التوحيد بفضل زائد علي مقتضي حقائقه الإنسانية، إذ لو كانت تلك الحقائق تقتضي الهداية للحق والإسلام له لما وجد إنسان كافر علي وجه الأرض. وإنا لنري أكثر الناس أسرع إلي الكفر من الإيمان، وأميل إلي المعاصي من الطاعات لمقتضي حقيقتهم قال تعالي: (سورة الأنعام آية ١١١)

والتوحيد، وذوق حلاوة الإيمان، والتقوى شيء زائد عن الحقائق يتفضل الله به علي من يشاء من عباده وإنا قد سمعنا بالتواتر أن الإنسان حكم أن إنسانا لا يضر ولا ينفع إلها أوحل فيه الإله أو ابن الله لا عجب إن أنكر الإنسان نفسه المحسوسة فإن من الإنسان من أنكر وجود نفسه، فاشكر الله أيها الإنسان الذي وفقك للتوحيد وجعلك من أمة حبيبه ومصطفاه ومنحك الخشوع والتسليم لحكمه، واعتقد أن الله تفضل عليك فضلا لم يتفضل به إلا علي من كان عقيدتك ومذهبك، وأن الله تعالي سلب هذا الفضل ممن قدر أن يجعلهم مخلدين في لدرك الأسفل من النار ولا يسأل عا يفعل.

عاقبة المكذبين والملحدين :

أيها الإنسان اعتقد أنك إذا ألقيت بنفسك في النار _ وهو شر الشرور _ يكون خيراً من أن ترى من يعتقد تلك العقيدة؛ لأنك إذا رأيت صورة الإنسان تستر فيها شيطان إما أن تحزن خوفا على نفسك من سوء العاقبة، أو تغشى أن يوقعك فيما يغضب الله، ويهوى بك في هاوية البعد عن الله تعالى!. إذا سمعت يا أخي مثل هذا الكلام فقل : أعوذ بالله ممن أضلهم الله على علم !.

أكتب وأنا آسف ! على تلك الأنفاس النفيسة التي أضيعها وأنا في زمان النور مع قوم نبشوا القبور . وإنى على يقين حق أن كل ناطق بالضاد ممن نور الله قلبه بالتوحيد يسخر من هذا الكلام حفظ الله أهل التوحيد بما أودعه في قلوبهم !.

وقد حمل هذه الأفكار المضلة والآراء المفسدة بعض من وفدوا على الشرق ممن وجهوا وجوههم لفك عروة المجتمع، وسخرهم أعداء الحق والعدل لاشتغال الناس بما يضر،

والتفاتهم عما ينفع ، فأقبلوا على الشرق زرافات ووحدانا منهم المبشرون الذين أسسوا المستشفيات والمدارس لهذا، ومنهم من ادعوا

الفلسفة وقام تحت هذا الستار يثبت أن أصل الإنسان قرد ودعا من لا خلاق لهم بهذه الأباطيل، حتى صارت أحاديث الممرورين والمرضى بالجنون ممن تلقوا في صباهم التعاليم في تلك المدارس وخدموا هؤلاء الوافدين قال الله تعالى (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون)(سورة التوبة آية ٣٢) هؤلاء: قوم دينهم دون عقولهم فإن النور الإسلامي انتشر كسرعة نور الشمس في جميع الآفاق فنبه العقول والأفكار؛ ولكن أكابر الأمم وساداتهم، وقفوا في وجوه الناس خوفاً من زوال السيادة ومحو الرياسة، فأبقوهم على ما هم فيه من الظلمات، و ملأوا القلوب بغضا للحق وحامليه، ففترت العقول وسبحت في ظلمات الأباطيل ولهم العذر؛ فإن دينهم لا تقبله العقول، وبغضهم للحق لا يجعلهم يألفونه، فإن نبشوا القبور، أو قالوا بالنشوء والارتقاء فلهم العذر لأنهم لم يستنيروا بنور الحق ولم يهتدوا إلى ركن مكين منه ولم يتقبلوا العلم النافع.

الشمس في رائعة النهار لا يراها الخفافيش :

ليس لمن له بصر يبصر الشمس أن يقهر الوطواط على الخروج نهارا من حفرته؛ لأنه فقد البصر الذي به نورها وكذلك هؤلاء فقدوا عيون القلوب التي تبصر بها الحق .

وأن اللوم والعتب على من تحت قرص الشمس وفى أفق إضاءتها كيف ينكر نورها وحرارتها ويخلد إلى ظلمات العمى ويهوى إلى الدرك الأسفل من النار؟ فكيف بمن هو في العافية الروحانية - التي نفس واحد بها خير من الدنيا وما فيها - يغتر بصحيح الجسم مريض النفس ؟! هؤلاء يقولون : الإنسان قرد ليهدموا أساس دينهم الذي يقول : فلان هو الله، أو ابن الله، أو حل فيه الإله فرارا من تلك الظلمة إلى ظلمة غيرها؛ والنفس تتوق إلى تحويل الأحوال ولو كان من نار إلى نار، ولكنك أيها المسلم تشهد من تفضل الله بأكمل النعم لك على يده وهو سيدنا ومولانا محمد –صلي الله عليه وسلم- تشهد له أنه لله عبد و رسول يدعوك إلى الحق الذي تحس بنعمه وتلمس إحسانه وكم قال لك : (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد)(الكهف آية ١١٠) وقال لك : (قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لا ستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون)(الأعراف آية ١٨٨)وقال لك : (من كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحد)(الكهف آية ١١٠) كل ذلك يقوله لك وهو مأمور أن يقوله من الله تعالى. هل بعد تلك الأنوار وظهور تلك الأسرار لك أيها المسلم تغمض عينيك وتلقى بنفسك في هاوية الظلمة وحضيض اللعنة معتقداً أن رجلا سئم دينه لفساده في نظره وتخلص منه بما يقبله عقله المظلم وفكره الفاسد فتسارع إلى نقل كلامه والشك فيما أنت عليه من الحق ؟ أعاذك الله يا أخي والمسلمين جميعا من مرض النفوس المعدي الذي هو أفتك من الوباء وأضر على النفوس من البلاء.
واني أنصحك وكل فرد ظن أنه يسود بنشر تلك الأباطيل وتجديد تلك الضلالات والقيام بالرد عليها أن يريح نفسه، فالباطل لا يحتاج إلى مبين لفساده هذا، وفتح تلك الأبواب غاية تفرح بها تلك النفوس الخبيثة كالأجسام المريضة تكره الطعوم الجيدة وتميل إلى خبيث الأغذية، وترى كثيراً من المرضى يأكلون

الطين، ويتلذذون بالأملاح وأنواع الفلفل والشطة بغضا في الطيب من الأغذية، وكذلك مرضى النفوس يكرهون الحق، وما يتقرب به إليه، ويحبون الباطل وما يوصل إليه، حفظ الله المجتمع الإسلامي من أمراض الأخلاق بالتقليد! وأراح المسلمين جميعا من أعداء الله ورسوله وأعداء كتابه المجيد وأعداء الخير للمسلمين! حتى نحيا الحياة الإسلامية الحقة عاملين بكتاب الله وسنة نبيه-صلي الله عليه وسلم- محافظين علي حدود الله تعالي إنه مجيب الدعاء. ولولا أني في زمان التحصيل لكتبت رسالة وافية تجعل الإنسان يعلم مقدار ما ينالـه من الخزي والذل بنبش القبور في عصور النور والله يوفقنا لما يحبه ويرضاه.

الباب الثالث
أصحاب المذاهب والمضلة والآراء الفاسدة والعقائد المفسدة

دعاة الصلاح والإرشاد:

إن كثيراً من الناس يدَّعون الصلاح، والتقوى، والعلم، والإرشاد ونواصيهم في قبضة إبليس يوسوس إليهم بالأكاذيب والأباطيل فيقولون على الله ما لا يعلمون، وقد يبلغ الغرور بالرجل منهم حتى يعتقد أنه نافع، وضار، ومقدّم ومؤخّر، ومتكلم عن الله وعن رسوله وهو يهدم الشريعة من أعلاها إلى عاليها، ويمحو الآثار الشرعية والأحكام والآداب معتقداً أنه يتكلم عن الله، وترى كثيراً من الناس يصدقونه ويزيدونه غروراً بنفسه وهو منغمس في لعنة الله وغضبه يتأول القرآن والسنة على حسب ما يلائم هواه من غير رعاية الآداب مع الله ورسوله. قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : (من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) وقال تعالى: (العنت الله على الكاذبين)(آل عمران آية ٦١). ومسلم ذاق طعم الإيمان لا يسلم إلا لله ولرسوله ولأولياء الله العاملين بكتاب الله وسنة رسول الله صلي الله عليه وسلم.

شتان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان :

قولي هذا لا يجعلني أنكر أن الله تعالى جذب إليه من أحبهم من خلقه فأفناهم عن وجودهم بوجود شهودهم، فيراهم الناس يمشون على الأرض وقلوبهم معلقة بالرفيق الأعلى، لأن الله أقامهم مقام من اصطنعهم لنفسه وهم أهل الذكر الأكبر والذين ينالون الرضوان الأكبر صغرت الدنيا فى أعينهم فزهدوا فيها وهم أحوج ما يكونون إليها. جاهدوا أنفسهم في ذات الله حتى استلا نوا ما استوعره المترفون. وعلموا سر الحكمة الإيجاد والإمداد حتى بلغ بهم العلم عين اليقين أو حق اليقين، لا يغضبون إلا لله، ولا يرضون إلا لله، ولا يفرحون إلا بفضل الله وبرحمته، ولا يأنسون إلا بالله تعالى أولئك هم أولياء الله.

أما من توعدهم الله بالخلود في النار بأتباعهم خطوات الشيطان التي من شرها أن يقولوا على الله مالا يعلمون، وهم أهل البهتان الذين يفترون على الله الكذب ليتنعموا في تلك الدار الدنيا بما يوقعهم يوم القيامة في نار جهنم، أعاذنا الله تعالى بوجهه الكريم من أتباع الحظ والهوى ومن البدع المضلة! وان الذين يقولون على الله مالا يعلمون لا يخفون علينا، فمنهم الشاطحون والتائهون الذين يظهرون للناس أنهم في فناء عن الدنيا وحضور مع الله تعالى

وكذبوا لان أهل هذا المقام جائعة بطونهم، عارية أبدانهم ظمآنة أكبادهم، سكنت نفوسهم إلى ربهم وصبرت مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، رضوا عن الله بعد أن رضي سبحانه عنهم، لا فرق عندهم بين الدُرة بضم الدال وبين الدِرة بكسرها، آثروا الناس بحطام الدنيا، وقهروا أنفسهم جهاداً ومنافسة في نيل رضوان الله الأكبر ومن هم؟ وأين هم؟ فليتق الله الضالون المضلون فإن عذاب الله شديد!.

سر العداوة البينة من الشيطان لنا:

لقد بينت لك أيها القارئ في كتاب : (الطهور المدار) سر تلك العداوة البينة من الشيطان لنا، وأشرت لك إلى معنى الشيطان وما فيك منه مما يتصل بقلبك، وأعلمتك أن أبوابه التي يدخل منها عليك هي جوارحك المجترحة وشرها بطنك فإنها المعقل الذي يمد تلك الجوارح بالخير أو بالشر، فاحذر أن تكون عبداً لبطنك ، وضيق الخناق على النفس الشهوانية فلا تدخل في بطنك إلا الحلال الطيب على قدر الضرورة، واحذر أن تتوسع فى المباح فيصرعك الكفاح، وقد بين الله لك قدر الدنيا، وشرح لك رسول الله –صلي الله عليه وسلم- ما خفي عليك من القرآن، وما وصل الواصلون إلى الله إلا بالجوع، والسهر، وقلة الكلام المباح، وملازمة الخلوة محاسبة للنفس ومراقبة لجلال الله ومشاهدة لجماله العلى حيث الأنس به سبحانه . ولا تصحب إلا من ثقل ميزانه بما
وضع فيه من العلم بالله والأدب مع الله ورسوله ومن العض بالنواجذ على ما كان عليه رسول الله – صلي الله عليه وسلم – وأصحابه، واضرب بما خالف ذلك وجه الحائط ، وأطلب العلم من العارفين ولو بالصين ، واحذر من محبة الذين يقولون على الله مالا يعلمون فان محبتهم ذل لغير الله فى الدنيا، وعذاب شديد يوم القيامة. أعاذنا الله من الفتنه! خصوصا فتن هذا الزمان العمياء الصماء- التي جذبت قلوب أهل الهوى- مما أبتدعه الضالون المضلون الذين تلقوا علم الدنيا في بلاد أوربا، الذين ذهبت غيرتهم لله ورسوله وأطماعهم فيما في أيدي أعداء الله من زينه الحياة الدنيا.

حقيقة الإنسان :

وقد كثر في زماننا هذا أتباع الشياطين بما نراه من آثارهم من التظاهر بعمل الفحشاء والمنكر، وبتعصبهم لأهل المذاهب المضلة والآراء الفاسدة والعقائد المفسدة. ولولا الإطالة على القارئ لبينت أنواع الذين يقولون على الله مالا يعلمون في زماننا هذا ولكن ندعهم بعد قوله تعالى: (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون)(الأعراف آية ١٨٢) فنسأل الله أن يهدينا صراطاً مستقيماً.

وهنا أعرفك أتباع من يقولون على الله مالا يعلمون، إنهم شر الخلق لعدم بصيرتهم التي ينظرون بها إلى الحقائق التي تجعلهم من أهل علم اليقين أو عين اليقين أو حق اليقين، وتلك المراتب هي الحجة على أن الإنسان إنسان بمعناه، فإذا حرم تلك البصيرة كان أضل من البهائم السائمة، وغاية ما في الأمر أنه على صورة الإنسان ولكنه كالقرد الذي يسمى: "إنسان الغابة" أو كالسمك الذي: يسمى: "إنسان البحر" ففى الغابة قرد يمشى على رجليه ويعمل أعمال الإنسان : من الغضب، والرضا، والضحك، وتحصيل قوته إلا أنه لا ينطق، وفقده النطق حجة قاهرة على أهل الجهالة بالحقائق القائلين : إن الإنسان أصله قرد. وان

رأيت رجلاً يسلم لغير الحقائق التي يقبلها العقل فاحذره ولا تبح له علما فيفسده. قال عيسى ابن مريم عليه السلام : (لا تلقوا الجواهر تحت أقدام الخنازير) وكان صلي لله عليه وسلم إذا أراد أن يتكلم فى علوم اليقين قال لأصحابه : (أجيفوا بابكم) أي أغلقوه ثم يقول (أفيكم غريب) والغريب هنا والله أعلم هو فاقد القابل ولو كان عابداً زاهداً .

حرمان أتباع أهل المذاهب المضلة من القابل :

قال تعالى: (وإذا قيل لهم أتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه أباءَنا)(البقرة آية ١٧٠) يبين الله لنا حرمان من أتبعوا خطوات الشيطان من القابل الذي يقبل عن الله آياته لنعلم أن تلك الآيات الجلية في الكائنات، وأن ما جاء به الرسل - عليهم السلام - من البينات - إنما هو حجة على من لم يجعل الله له عقلا يعقل عنه سبحانه وتعالى، ونوراً تستبين به سبل الله تعالى. وأما من منحه الله القابل فانه يقبل أسرار الله ويفقه آياته، قال صلي الله عليه وسلم : (المؤمن يكفيه قليل الحكمة). وقال تعالى: (إن الهدى هدى الله) (آل عمران آية ٧٣) وسبب نزول هذه الآية أن رسول الله- صلي الله عليه وسلم- لما دعا اليهود إلى العمل بما أنزل الله تعالى أخذتهم العزة بالإثم فقال عنهم رافع بن جارحة وخالد بن عوف : "بل نتبع ما ألفينا عليه أباءنا" وخصوص السبب لا يقتضى خصوص الحكم فالسبب خاص والحكم عام .

وهذه الآية الشريفة خبر عمن خاطبهم الله تعالى بقوله : (يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا)(سورة البقرة آية ١٦٨) والخروج من الخطاب إلى الغيبة فى فصيح الكلام من المعجز .

وقوله تعالى: (اتبعوا ما أنزل الله)(الأعراف آية ٢٠) أى أعملوا بما أنزل الله على حبيبه محمد صلي الله عليه سلم. فخالفوا أمر الله تعالى وقالوا : "(بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا)(البقرة آية ١٧٠) أى نعمل بما وجدنا عليه آباءنا بالله كفراً وعناداً برسوله صلي الله عليه وسلم، وتكبرا عن الحق . فشنع الله عليهم وأخزاهم بقوله : (أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون)(البقرة آية ١٧٠)

العاقل حقا من عقل عن الله تعالى :

والمراد بآبائهم هنا هم آباؤهم الذين ضلوا في زمان موسي وعيسى - عليهما السلام - وبعده الذين شنع الله عليهم فى أوائل البقرة، ولم يقع منهم هذا الخلاف إلا وهم على بصيرة بما أثبته الله من بعثة حبيبه ومصطفاه من ولد إسماعيل في سفر الخليل، وموسى عليهما السلام . شنع الله عليهم بتلك

الآية لأنه جل جلاله خلق الإنسان وسطا بين العالمين بين عالم الملائكة وعالم البهائم ، ومنحه عقلا يستعمله في تدبير شؤونه ، وتدير أعماله، والمسارعة إلى نيل الخيرات اللازمة له، والتحفظ من الشرور أن يقع فيها. وجعل استعماله لهم ضروريا ليدرك أن الخيرات الكونية لا تنال إلا باستعمال هذا العقل؟ وقد فطره على الدين لأن الإنسان حيوان ديني فكما استعمل عقله في أموره الدنيوية كان ينبغي عليه أن يستعمله في أموره الدينية فينظر فيما حوله من الكائنات نظر متعقل، ليعلم أن ما على الأرض ومن عليها ، عبيد مربوبون وعباد

مقهورون. ليس على وجه الأرض من يملك لنفسه منهم ضرا ولا نفعا، بل ولا في السماء من أجرامها العظام وطبقاتها المتناهية فى السعة ما يضر أو ينفع بذاته، فيحكم أنه ليس فوقه فى هذا العالم أجمع إلا الله، وما عداه ومن عداه آثار رحمته وأسباب وضعها سبحانه؛ ليظهر لمن أحبه، فمن أهمل هذا العقل وقتله وقلد غيره تقليدا أعمى من غير حجه ولا برهان كان أضل من الأنعام .

بم يفتخر أهل العقائد المفسدة وعلومهم فنون تدعوا إليها الفطرة ؟!

لقد بين الله تعالى لمن قلدوا أبائهم من غير بصيرة ولا حجة أنهم استوجبوا غضب الله وانتقامه؛ بأن العقول التي تبحث في هذا الكون - حتى تخترع الآلات والأدوات التي تغير بها وجه الأرض وتستعبد بها عباد الله - ولم تبحث فيما أودعه الله في تلك الكائنات من الدلائل على وحدانيته - من الآيات الدالة على قدرته وحكمته وعلى تفريده سبحانه وتعالى بالألوهة والربوبية والكمالات الذاتية الأسمائية الصفاتية ، كانت تلك العقول أدنى من عقول أخس الحيوانات ، لأن كل حي من الأنواع السافلة له عقل يدرك به جلب المنافع ودفع المضار بقدرة، فمنها ما يصنع له الحجرات في بطن الأرض وفى المغارات وفى كهوف الجبال، ومنها ما يصنع له القصور العاليات فوق الأشجار ومنها ما يقود الجيوش لحرب اخصامه كالقرده في جزيرة مدغشقر، ومنها ما يصنع النفق بين البر والبحر، ومنها ما يتعاون على جلب ضرورياته ويصنع له بيوتا هندسية بحجرات مسدسة يعجز عن اتقانها أمهر المهندسين، وغير ذلك من أنواع تربية الإناث منها لأولادها. فمن الحيوانات: ما يخرج أولاده من بطنه ويضعه في كيس تحت بطنه ليتمم حمله، وبعضها تلد فيفر المولود من أمه بسرعة يكون فيها أسرع من الريح المرسلة وأمه تجرى وراءه حبا منها لتنظفه بلسانها ولسانها كالشوك لو لحسته لقتلته فينجو منها بعدوه، ومنها ما يلد خارج البحر على الرمل ثم يرجع إلى البحر فيرى أولاده بالنظر إليها وسبحان القادر الحكيم .
هذا ما فطرت عليه الأنواع الحية السافلة، فيكون ما فطر عليه الإنسان أرقى من هذا بحسب ضرورياته، ولا يحكم على الإنسان بأنه عاقل حتى يدرك عقله ما هو ظاهر في الكائنات من الآيات القائمة على وحدانية الله تعالى، فإذا لم يدرك هذا حكم على نفسه بأنه أخس من البهائم الراتعة . ومن

حكم على أن أهل الكفر بالله أناسي معنى جعل الحقائق. ولكنهم أناسي مبنى لأنهم لا يعقلون إلا بالعقل المكتسب الذي دعت إليه الضرورة كما دعت الضرورة البهائم أن تعمل ما يعجز الإنسان .

عالم النباتات أكمل عقلا في نيل ضرورياته من الإنسان :

وهنا أشير إلى أن عالم النباتات أكمل عقلا في نيل ضرورياته من الإنسان فإنك ترى الأزهار في النباتات الصغيرة تتحول إلى الشمس عند شروقها، وتدور معها إلى غروبها، وترى الأشجار الضخمة أول فرع منها يتجه حيث شروق الشمس، والفرع الثاني إلى غروبها حتى لا يضر أخاه بظله، والفرع الثالث يرتفع إلى الأعلى وكل ذلك لتتمتع الشجرة بحرارة الشمس ونورها، وكل نبات يكون في ظل يمتد رأسه ناحية الشمس ولذلك فإنك ترى بعض النخيل إذا

كان بجانب نخلة تحجب الشمس عنه يميل شرقا أو غربا؛ وترى في الشجرة الواحدة أزهارا ذكورا وأزهارا إناثا فيلقح بعضه بعضا .

أوربا المادية خطر على الإنسانية :

ظهر لك أن ما بلغ إليه الإنسان مما يقولون عليه مدنية واختراعا وتفوقا كل ذلك مفطور عليه الإنسان كما فطرت عليه الحيوانات من النباتات، ولذلك يقول الله تعالي :
(لو كان أباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون)(البقرة آية ١٧٠) نفى سبحانه وتعالى عنهم العقل الذي يعقل عن الله مع أن الإنسان من لدن آدم وهو اخذ في الرقى حتى أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها بجهلهم بأنفسهم وبربهم أنهم قادرون عليها، والحقيقة أنهم ما عقلوا شيئا لأن الذي عقلوه من الصناعات، والفنون، والزخرف، والعلوم المتعلقة بظاهر الحياة الدنيا لا تخرج محصلها عن أنه نوع من أنواع البهائم الراقية: كالقردة، والنسانيس، والنمل، والنحل، والخيل، والطيور الرحاله؛ ومن ظن أن الفراعنة، والأكاسرة والبابليين، والأشورين ممن أخنى عليهم الدهر، أو بني الأصفر سكان قارة أوربا وسكان أمريكا أو الأنواع الحمر والسود من سكان الصين واليابان والسودان عن لم يستضيئوا بنور الإسلام، يعقلون فقد أخطأ الحقيقة؛ لأنهم لو كانوا يعقلون لعقلوا عن الله تعالى ما أنزل إليهم مؤيدا بالحجة الدامغة والدلائل القيمة، فهم كما قال الله تعالى: (أو لو كان أباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون). والهمزة هنا للاستفهام توبيخا، فإثبات الله أنهم لا يعقلون شيئا حقيقة لأن العاقل حقا من عقل عن الله تعالى. أما من أخترع أو تفنن أو قهر خصومه بالقوة والحيلة فهذا جاهل لا يعقل، ما لم يكن ذلك بعد إيمان بالله تعالى وعمل بأمره ووحيه .

"ولا يهتدون" الهداية : هي بيان سبيل الله للعبد حتى ينهج عليها سالكا إلى الله تعالى. فقوله سبحانه: "ولا يهتدون" ، أى أن سبيل الله تعالى تبين لهم بآيات الكتاب وبيان السنة، والقوم لما سجله الله

عليهم، لا يقبلون الهداية لفقد القابل لأن الهوى أعمى عيون البصيرة عن أن تفقه آيات الله تعالى. وهنا إشارة خفية تبين لأهل التوحيد في هذه الآية : وهي أن الله إذا قدر لعبد هداية جعل له نورا في قلبه وجعله ينجذب إلى الحق بأقل حكمة، وإذا لم يقدر الهداية لعبد أبعده الحظ والهوى والتقليد الأعمى عن فهم الحجج والدلائل وظن أنه يحسن صنعا.

أيها المدعى أن الإنسان أصله قرد:

مالك ايها الإنسان تقول الباطل ! فإذا ظهر لك الحق تعصبت تعصب الأحمق الجاهل وأبيت إلا أن تجعل الباطل حقا وقمت فانتحلت حججا يأبى القط أن ينتحلها إذا خطف قطعة لحم منك يأخذها ويفر منك على الجدران كأنه يقول لك أنا مذنب والمذنب لا يأمن جانب من عصاه، فإذا ناولته قطعة اللحم أكلها فوق ثيابك ولو ضربته
لا ينتقل عن ثيابك .
فعجبا للإنسان الذي هو أجهل من الحيوان يقع فى الضلال، فإذا قامت عليه الحجة وظهر الحق جليا أبى المسكين أن يكذب نفسه كأنه أكبر من الحق وكأن الحجة إنما تقام للكلاب والقطط والحمير ولا تقام للإنسان الذي هو أدنى منها لأن تلك الحيوانات لا تحتاج إلى إقامة الحجة، ولكنها تشعر بالحق بنفسها. كفا أيها القلم فإن الإنسان حيوان مادام أن قواه الفكرية لا

تخرجه عن حيطة المادة والعمل فيها لحظة وشهوته والتعصب للآباء والأهواء بل أقل من الحيوان، إنما عليك أن تبين الحق وليس عليك أن تقهر الناس على اتباعه.

الباب الرابع
الإنسان وما أدراك ما الإنسان؟!

الإنسان ملك وأعلى وحيران وأدنى وشيطان وأضر :

الإنسان حيوان كيفا وضروريات، ملك مقاما وخصوصية، إن كان مسلما عارفا، وتحقق نسبه، وعمل بالقرآن. وهو إبليس حظا وهوى إن جهل واستغنى. الإنسان قطب مدار العالم إلى أدنى مراتبه . ينتهي إلى ما دونه من الحيوانات ليكمل في نوعه وتتولى مؤانسته العلويات إذا كمل وكماله بالعلم الحقيقي، المؤيد بنور الحق، المطهر للنفوس من فساد الأخلاق، المزكي لها من سوء الاعتقاد. حتى تطمئن القلوب إلى الله سبحانه وتعالى، وتنفطر النفوس على حب النفع العام الذي يؤول بالعامل إلى التلذذ بالحياة الأبدية فى روضات النعيم المقيم، بين الملائكة المقربين الذين يدخلون عليهم من كل باب بالتسليم والتعظيم .

ولا عجب فالإنسان بين نوعه قد تدفعه نفسه الفاضلة وأخلاقه الكاملة ،وعقيدته الحقة ومعاملته الحسنة، وحبه لخير عامة بني نوعه من الخلائق أجمعين إلى رتبة الإجلال والإعظام والحب حتى يفدى بالنفوس والأموال إذا ما تجمل به من الصفات المحبوبة للنفوس، والأخلاق المقبولة للإنسان، وهو منهم وبهم. ينظرون إليهم نظر الإكبار والإعظام وهو غريب عنهم، بعيد النسب منهم، وإنما قربته أخلاقة ورفعته أعماله، ورفعته أحواله، لا ينكر فضله إلا عمى الطرف عن الفضيلة، كليل النظر عن المكارم محب لذاته، مبغض للخير العام والإحسان الحقيقي .

بينما نرى الآخر من الإنسان قد قلاه أرحامه، وكرهه أقاربه، وملّه عشراؤه، وسعى في ضرره أبناؤه، فكأنه مرض معد أو بلاء مؤذ، وهو القريب النسيب الحسيب. ما هذا ما ذاك؟! إلا لأنه أنحط عن أدنى مراتب الإنسان حتى التحق بأضر الحيوانات أو أشر الشياطين .
فالإنسان ملك وأعلى، وحيوان وأدنى، وشيطان وأضر، والمقتضيات لا تخفى على إنسان بمعناه الحقيقي. إنى ليدهشني ويذهل عقلي أن أرى الصورة الآدمية فى حضيض الأرذلين وأسفل سافلين . وسبل رقى الإنسان واضح مناهجها، وبين منارها ظاهر طريقها. والإنسان من نفسه يشعر بذلك ويحس به. ولكن(قتل الإنسان ما أكفره)(عبس آية ١٧٠) يبيع حظ النعيم المقيم المحقق، بعاجل أمل يزول مشكوك فيه لجهله لنفسه، واحتجابه عن ربه، وغفلته عن المآل ونسيانه للمبتدأ .

خلق الله الإنسان ليشهده غرائب قدرته ويشهده عجائب حكمته :

جعل الله الإنسان نوعا وسطا بين عوالم الملائكة والحيوانات، ووهب له العقل، وسخر له ما في السماوات والأرض، خلق آدم على صورته سبحانه سميعا بصيرا مريدا، وجعله خليفة في الأرض ومنحه عيونا في قلبه بصر بها أسرار الغيب من الآيات المنبلجه في الآثار

وفطره على الدين فلا ترى فردا من بني الإنسان إلا وهو يخنع لقوة يسميها الله، اهتدى إلى طريق الحق من هداهم الله وأخطأ معرفته من حجبهم الله.

خلق الله الإنسان ليشهده غرائب قدرته في مكوناته بما جعل له من النور في قلبه ويكاشفه بعجائب حكمته في آياته بما منحه من نور الفكرة، وأعده لنيل الكمالات الروحانية، أو ارتكاب النقائص الشيطانية، قال الله تعالى: (وهديناه النجدين)(البلد آية ١٠).

فطر الله الإنسان محتاجا، وأحاطه سبحانه بالمكونات والكنوز، وجعل مفاتيحها العمل والفكر، لا لحاجة الله لذلك العمل، بل ليظهر الإنسان سر استخلافه ويشاهد معاني تنزلات الأسماء والصفات، ويترقى حتى يتحقق بالعجز عن إدراك كمالات الذات، والعمل كدح وذكر وفكر، ففطرة الإنسان على الاضطرار والحاجة وسرها فتح كنوز الخيرات والبركات له حسا ومعنى.

سعادة الإنسان بنيل الفضائل والبعد عن الرذائل :

للإنسان سعادة ينشدها العقلاء ويأباها الأغبياء، فسعادة الإنسان بنيل الفضائل التي يكون بها شبيها بالملائكة الروحانية، متجملا بجمال الأنبياء والمرسلين مما تبتهج به الأرواح الملكية، والنفوس المطهرة الزكية وليست السعادة،مأكل شهى، وملبس بهي وملامسة لنساء على فراش وطئ، هذه سعادة البهائم السائمة بل وليست السعادة إفتراس السباع للأجسام، ولا ادخار المال الحرام ولا غدر لأهل الذمام ولا ختل للعقول كختل الثعالب أو اللئام، فإن السبع يفترس ظلما، والنملة تدخر غنما، والفأر يسرق غرما، والديك يأتي الدجاجة رغما، هذه سعادة الوحوش النافرة، والسباع الكاسرة، وكيف يتشبه الإنسان بالبهائم ويقول إني إنسان ؟.. نعم أنه طويل القامة عريض الأظافر، ضاحك بالطبع ولكنه لا يكون بذلك إنسانا، وكيف لا والله يقول : (إن هم إلا كالإنعام بل هم أضل سبيلا).(الفرقان آية ٤٤)

من هو الإنسان الذي أريده ؟!

لا أريد بالإنسان الهيكل المعتدل القامة العريض الأظافر الذي يمشى على رجليه، لأني سبق لي عند التكلم على درجات تكوين الإنسان الإشارة إلى سر الحكمة في تطوره في تلك المراتب كما قال سبحانه وتعالى: (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين)(المؤمنين آية ١٢-١٣) وأشرنا إلى ما أودعه الله من القوى فى الإنسان، فإنه سبحانه وتعالى قد جمع في الإنسان قوى بسائط العالم ومركباته، وروحانياته وجسمانياته ومبدعاته ومكوناته، فالإنسان من حيث أنه بوساطة العالم حصل، ومن أركانه وقواه أوجد: هو العالم. ومن حيث أنه صغر شكله وجميع ما فيه : كالمختصر من الكتاب، وهو الذي قلل لفظه واستوفى معناه، والإنسان هكذا هو إذا اعتبر بالعالم. ومن حيث أنه جعل من صفوة العالم ولبابه وخلاصته وثمرته فهو كالذبد من المخيض، والدهن من السمسم، فما من شيء إلا والإنسان يشبهه من وجه، فإنه كالأركان من حيث ما فيه من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة. وكالمعادن من حيث هو جسم. وكالنبات من حيث ما يتغذى ويتربى وكالبهيمة من حيث ما يحس ويتوهم ويتخيل ويلتذ ويتألم وكالسبع من حيث ما يحرض ويغضب. وكالشيطان من حيث ما يغوى ويضل. وكالملائكة من حيث ما يعرف الله تعالى ويعبده ويطيعه. وكاللوح المحفوظ من حيث قد جعله الله مجمع

الحكم التي كتبها فيه على سبيل الاختصار. فقد ذكر بعد الحكماء في بدن الإنسان أربعة الآف حكمة وفى نفسه قريبا من ذلك. وكالقلم من حيث ما يثبت بكلامه صور الاشياء في قلوب الناس. كما أن القلم يثبت الحكم في اللوح المحفوظ .

ولكون الإنسان من قوى مختلفة قال تعالى: (إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج)(سورة الإنسان آية ٢) أى مختلطة من قوى أشياء مختلفة. ولكون العالم والإنسان متشابهين، إذا اعتبرا، قيل الإنسان عالم صغير، والعالم إنسان كبير. ولذلك قال الله تعالى: (ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة)(سورة لقمان آية ٢٨) فأشار بالنفس الواحدة إلى ذات العالم .

ولما كان كل مركب من أشياء مختلفة يحصل باجتماعها معنى ليس بموجود فيها على انفرادها، كالمركبات من الأدوية والأطعمة، كذلك في نفس الإنسان حصل معنى ليس فيه شيء من موجودات العالم وذلك المعنى هو ما يختص من خصائصه التي بها تميز عن غيره من هيئات له كانتصاب القامة وعرض الظفر، وانفعالات له كالضحك والحياء، وأفعال كصور المعقولات وتعلم الصناعات واكتساب الأخلاق. فالإنسان المقصود في موضعي هذا هو الذي كملت فيه قوة التخيل والتصور والفكر والعقل، فإنه هو الإنسان القابل للكمالات النفسانية وهو المراد بشرح هذا الموضوع لجليل. وليس من كملت فيه قوة النزوع كالنبات، أو قوة جلب الخير ودفع الضر عن نفسه كالحيوان، فإنه ليس عندي بإنسان بعناه الحقيقي سر قولة : (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا)(سورة الفرقان آية ٤٤) وقوله تعالى: (لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون)(الأعراف آية) فالإنسان هو المقصود من العالم كله، لأن الله خلقه بعد خلق جميع الكائنات، فهو زبدة الموجودات وخلاصتها بحكمة علية تظهر لمن ذاق حلاوة قوله تعالى: (إني جاعل في الأرض خليفة)(البقرة آية ٣٠) ومن تناول من طهور شراب : (إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر)(سورة القمر آية ٥٤-٥٥) فالإنسان المقصود بالذات، خلقه الله تعالى ليجمل به ملكوته الأعلى. خلقه على صورته، جملهُ بمعاني صفاته، أشهده بديع جماله، هو الإنسان المتخيل المتصور المفكر العاقل، وما عداه فحيوان على صورة الإنسان أو أضل من ذلك لجهله بمبدئه ومعاده.غروره بعاجل حظه وهواه.

النظر في الإنسان

الإنسان كعبة بحث العلماء :

أفعمت الدفاتر بشرح خواص الإنسان، فلم يبق طبيب ماهر إلا وشرح حقيقة جسمه وبين أسرارها، وفصل أعضاءه وبين وظائفها وما يحفظ عليها صحتها وما يعيدها لها إن فقدت، فما من مفصل من المفاصل ولا وريد ولا شريان ولا عضو من الأعضاء العاملة إلا واختص به طبيب ماهر، حتى صار للسن طبيب خاص، وللجلد كذلك، فلم يبق فيلسوف إلا وجعل الإنسان كعبة بحثه، وأظهر غوامض أسراره، وقام علماء النفس فبينوا أنواع النفوس وما يحفظ عليها صحتها وما يعيدها عليها إن فقدت، وقسموا فضائل النفس ورذائلها وما به ترقى إلى منازل كمالاتها حتى يكون الإنسان إنسانا حقيقيا بمعناه. وكل تلك العلوم مأخوذة من

القرآن الشريف، لأن الله سبحانه وتعالى بينها بصريح العبارة، حيث جعل الإنسان خليفة لجنابه العلى، وصورة مذكرة لحضرته العلية، ومخلوقا منحه القوة على أن يتحمل الأمانة، وجعله سبحانه وتعالى إن زكى نفسه وطهرها ووفى بعهده وعمل بما أمره يجلس يوم القيامة على كرسي من نور حول العرش في جوار ربه جلت قدرته وتنزهت ذاته، وان ظلم نفسه وخالف أمر ربه وجحد نعمة المنعم هوى في هاوية البعد ولظى القطيعة وأليم العذاب، ولما كان هذا المختصر وضع ليقظة القلوب أحببت أن أتكلم على الإنسان بما يناسب هذا المقصد.

الإنسان :

الإنسان هو النوع الوسط بين الملائكة والحيوانات، فهو بالنسبة لغذائه ونموه وحسه وحركته حيوان. وبالنسبة لإدراكه، قوة تصديقه بالغيب وتخيله الغائب بالمشهود ورقيه في مراتب العلو حتى يدرك ما وراء المادة ويبلغ درجة أن يأنس بالمفارق ملك مقرب، هذا هو الإنسان. فالإنسان حان الشراب للسالكين، ودنان الراح للواصلين، والشراب الطهور للعارفين، ظهر مبناه وغاب معناه. وإن الإنسان بمعناه لا بمبناه. وكم من وحش كاسر وشيطان ماكر وخنزير فساد في صورة إنسان. وكم من ملك روحاني وكروبي هائم في جلال ربه وعال آنس بمعية مولاه في صورة إنسان. فمن وقف عند الصورة وحكم عليه قال: حيوان. ومن نظر بعين البصيرة إليه قال: مخلوقه تخدمه الملائكة، وولى تولاه الله، ومحبوب قربه الله وإنسان سخر الله له ما في السموات وما في الأرض جميعا منه. الإنسان صوره الله بيده طينة صلصالّية، ونفخ فيه من روحه القدسية، وأسجد له ملائكته فقر بهم بسجوده وعلمهم، وأبى السجود له إبليس فأقصاه أبعده لتركه السجود للإنسان. الإنسان قرب الله به من قرب وأبعد به من أبع .

الإنسان مملكة عظيمة:

الإنسان صوره الله وهو منّى في رحم أمه، فهو المصور لأبيه أولا والمصور لكل إنسان ثانيا، قال الله تعالى: (فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين)(سورة الحجر ٢٩). وقال سبحانه وتعالى: (هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء)(سورة آل عمران ٦) الإنسان جمع الله فيه الضدين، وأقامه حجة على عجز العقول عن اكتناه الغيب. جمع فيه العناصر المختلفة حقائقها المادية، وبين الروح المجردة كاملة النورانية، فألفت الروح العناصر وهى مفارقة لها، فسبحان القادر الذي لا يعجزه شيء. الإنسان مركب من النفس والبدن، وهو الوسط وخير الأمور الوسط ولذلك كان أهل القرآن خير بني الإنسان لأنهم أمة وسط. ركبه الله في أحسن صورة روحا وبدنا. وميزه بالنطق، العقل سرا وعلنا. زين ظاهره بالحواس والحظ الأوفى، وجمل باطنه بما هو أشرف وأقوى. ومنحه الذكر والفكر والحفظ.

فالإنسان مملكة عظيمة وعالم صغير: النفس سلطان المملكة، والعقل وزيرها، والقوى جنودها، والحس المشترك صاحب بريدها، الأعضاء خدمها، والبدن كله محل المملكة، والحواس تسافر في جميع الأوقات في عالمها، وتلتقط الأخبار الموافقة والمخالفة تعرضها على الحس المشترك الذي هو واسطة بين النفس والحواس، لأنه بواب المملكة وهو يعرضها على القوة العقلية لتختار ما يوافق وتطرح ما يخالف، فسبحان من جعل هذا الجسم الصغيرة عالما تنطوي فيه العوالم .

إذا تحققت هذا يا أخي وعلمت أن الإنسان جهات شتى: جهة يكون فيها مقرب من الله آنس بشهود جماله سبحانه وتعالى، وجهه يكون بها في روضات الجنات، وجهه يكون بها في أسفل سافلين مع مردة الجنة والشياطين؛ ونظرت بعين بصيرتك
فيما انطوى في هذا الجسم الصفير من الأسرار والحكم، ثم جاهدت نفسك أن تنكشف لك أسرار النفس وكيف تعلقها بالبدن، أمتصلة هي أم منفصلة؟ وهل هي جوهر أم لا؟ وأين مكانها منه إن كانت متصلة؟ وظهرت لك من غرائب أسرارها أنها ليست جوهرا ولا عرضا، ولا محل لها في الجسم، وأنها تعلقت به تعلق تدبير، فإنك إذا رأيت أنها تقبل صور الكائنات كلها معقولها وغير معقولها، ماديها ومجردها، وتحفظ ذلك ولا ينمحي بقبول غيره، ظهر لك أنها ليست جوهرا وليست عرضا لأن العرض لا يقوم به غيره، ثم تدبرت أفعالها الخاصة بها حكمت على نفسك بالعجز عن إدراك حقيقتها، سر قوله تعالى: (قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا)(الأسراء آية ٨٥). عند ذلك تحققت بعجزك عن إدراك ربك سبحانه وتعالى، لأنك عجزت عن علم حقيقة مخلوق من مخلوقاته، فكيف تحيط علما بالخالق، تنزه وتعالى عن أن تدركه الأبصار أو تحوم حوالي عزته وعظمته الأرواح الطاهرة والنفوس الزكية.

الإنسان الكامل أفضل من الملائكة:

إذا صرف الإنسان همته يا أخي إلى جهة من تلك الجهات المتقدمة لالتحق بها. فإن وقف همه على حظوظ البهيمية رضي من أمر دنياه بالتغذي وتنقية الفضلات، وان صرفها إلى الحيوانية كان إما غضوبا كسبع، أو أكولا كبقر، أو شرها كخنزير، أو جزعا ككلب، أو حقود كجمل، أو متكبر كنمر أو ذاروغان كثعلب، أو جامعاً لكل تلك الصفات فيكون شيطانا مَريدا وهو في صورة إنسان.

فلا تغتر يا أخي بالصورة ء فكم من إنسان جميل الصورة ذي هيئة وبزة ومال يعظمه الناس ويكون يوم القيامة أقل من الذر!. وان صرف همته إلى الجهة الملكية يكن متوجها إلى العالم الأعلى ولا يرضى بالمنزل الأسفل والمربع الأدنى، فيكون مرادا بقوله عز وجل : (وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا)(سورة الإسراء آية ٨٥) والله الموفق. وبذلك فضل كثر من العلماء الإنسان الكامل على الملائكة، وذلك لأن الْمَلكَ روح مجردة والإنسان دائم الجهاد لم يخلص من مقتضيات عناصره ودعوات حظوظه وشهواته مما لا خلاص منه إلا بشق الأنفس.
قال الله تعالى: (لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما)(النساء آية ٩٥) فأنت أيها الأخ الراغب فيما عند الله تبلغ بجهادك الأكبر تكون بها أفضل من الملائكة لأنك مجاهد وهم ليسوا بمجاهدين .

إنسان المؤمنين :

هو العالم الأكبر، فظاهر القلب عرش الرحمن، وباطن القلب بيته المعمور فإذا عمره بشهود معاني صفاته فيه كان سدرة المثل الأعلى وزجاجة المثَل العلى، وكان الهيكل صورة الرحمن، ويكون الكون كله صورة هذا الإنسان الكامل محل استجلاء معاني الصفات، فظهر به الجمال والجلال ظهور الحقيقة لا المثال، وتشهد ذلك أرواح الحافين بالعرش، ونفوس

المهيمين في العرش، حتى يعم كل تلك الإرجاء نور الشمس فيكون نوراً على نور. في الغيبة والحضور.. من هذا القلب المعمور تعرج أسرار البطون إلى السقف المرفوع رأس الهيكل الكامل "وتتشعشع تلك الأنوار على الرق المنشور ظاهر الهيكل" متفجرة ينابيعها من البحر المسجور "سويداء القلب" . فتسخر العوالم علواً و سفلا للسدرة المغشاة بغيوب التجلي، وتسارع أرواح عالين وأشباح أهل اليمين لخدمة هذا المظهر من حيث الظهور فيه لأن الله مواليه. وهذا سر (إني جاعل في الأرض خليفة)(البقرة آية ٣٠) .

الإنسان كون صغير.. والكون كله إنسان كبير:

معلوم أن حكمة الحكيم القادر اقتضت أن يكون الإنسان عالما وسطا بين عوالم الملك والملكوت، فأبرزته القدرة كأنه صورة لجميع العوالم مع صغر حجمه، فالإنسان كون صغير، والكون كله إنسان كبير، فأودع الله سبحانه وتعالى فيه كل معاني الأنواع، فالإنسان جماد من حيث انه من طينه ويميل إلى السكون والراحة، ونبات من حيث أنه يتغذى وينمو، وحيوان من حيث أنه يحس ويتحرك، وملك من حيث أنه يشهد الغيب بدلائل المشهود ولا يعصى الله ما أمره ويفعل ما أمره الله سبحانه به إذا صفا وتكمل، ولم إبليس إذا نزع إلى هواه ورأيه وحظه ونسى يوم الحساب، وخليفة عن ربه إذا تجمل بأخلاق الربوبية. الإنسان هو الكل في الكل، فسبحان القادر الحكيم يبلغ **بكمالاته** النفسانية إلي أن يكون في مقعد صدق عند مليك مقتدر، وينحط باتباع حظه وهواه إلي أن يكون في هاوية السخط والمقت ولظي الجحيم، وبينهما دركات أو درجات قال الله تعالي في تنبيه بقدر الإنسان: (سورة الحجر بية ٢٩).
وقال سبحانه وتعالي في بيان منزلة الإنسان العلية وما انحط إليه من البلية: (سورة التين آية ٥). وقال الله تعالي: في بيان أن الإنسان قد يكون شيطانا: (سورة الأنعام آية ١١٢) فالإنسان هو الهيكل الصغير الضعيف كما قال الله تعالي: (سورة النساء آية ٢٨) وقال الله تعالي: (سورة غافر آية ٥٧) جامع لكل الحقائق الكائنات، يبلغ من المقامات في القرب من الله تعالي ما به يطيعه الله ويجيبه، وينحط بالمعصية والمخالفة لي أسفل الدركات حتى يتمني أن يكون ترابا.

الإنسان شجرة الرب سبحانه:

وهنا إشارة تشير إلي ن الإنسان شجرة الرب وأن النباتات شجرة الإنسان، ولذلك فإنك تري يا أخي الإنسان رأسه في العلو وأغصانه مدلاه علي الأرض، فهو يتغذي وينمو وباب الغذاء عند رأسه، والأعضاء الباحثة عن جودة الغذاء وطيبه عند رأسه، فالأنف يشم الطعام قبل إدخاله في الفم ثم يأذن بقبوله، والعين تنظر إليه قبل إدخاله ثم تحكم بجودته، واللسان يذوقه قبل بلعه ثم يري صلاحيته فيرسله إلي المعدة، والأسنان تهضمه الهضم الأول. وكذلك النبات فإن رأسه في جوف الرض وله عروق شعرية كاشفة، وعروق نباتية ماصه، فإذا وجدت الرطوبة دنت فمصتة إذا وجدت اليبوسة إنكمشت وتحولت، وكما أن الإنسان يمرض بترك الأكل أو بفقده فكذلك النباتات تذبل بفقد الغذاء فالراغب ف نيل مشاهدة الله تنكشف له تلك الآيات فتنجلي له معاني التجليات، قال الله تعالى: (سنريهم آياتنا في الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق)(سورة فصلت آية ٥٣).

الإنسان مظهر لظهور أوصافه الربوبية وأوصاف العبودية :

أجلى فيك ما به التعريف لو فقهت، ومنحك نورا به التعرف لو علمت، كما منحك أن تراك فيك وفى الآفاق بما اقتضته أسماؤه سبحانه من الأخلاق، فكنت مظهرا لظهوره، أمرك لتظهر حكمة إيجادك وهي ظهور عبوديتك، ووفقك لتكون خليفة عنه في الملك الصغير، وسيدا وجيها متصرفا في الملك الكبير، وأعد لك فيك وفى الآفاق من المشاهد العلية ما لا تبلغ ذوقه أعلى الملائكة، ولن يدركه أحد من العالمين، فإننا إن ندرك منه سبحانه ما هو فينا عالم يناله أحد من العالمين سوانا، والعادة والشرف الذي حصل لنا هو به سبحانه ليس بنا ذاتيا، وما ليس لنا ذاتيا يقتضى الشكر.

ومن جهل قدره فغره أنه مخلوق باليدين، وأنه مظهر وظهور لتقهر صفات الربوبية، ونسى أنه مظهرا أيضا لظهور صفات العبودية، حرم ذلك الملك الكبير ورد إلى أسفل سافلين السعير فتفضله علينا بالإيجاد موجب لشكر، وإحسانه إلينا بخلقه لنا بيد، ونفخه فينا من روحه، وإقامتنا للخلافة عنه سبحانه، موجب لعبادته ودوام الرهبة منه والخشية ... سبحانه.

الإنسان خليفة الله في أرضه :

أنت أيها الإنسان بكمالك السهل عليك تخدمك الملائكة لمكانتك وقربك من ربك. وكيف لا ؟! وقد جعلك الرب جل وعلا خليفة في أرضه، وجعل لك ما تشاء عنده. خلقك في أحسن تقويم على صورته بمعاني صفاته وسخر لك ما في السموات وما في الأرض جميعا منه، وهو القريب لك منك والمجيب لك عنك، أباح لك ما لا بد لك منه وأكمل، وحظر عليك ما أنت في غنى عنه مما هو مضر لك، وكلفك سبحانه من العبادات والقربات ما هو في طاقتك ووسعك. وهبب إليك الفضائل التي ينافس فيها العالمون، ويبذل لأجلها النفس والنفيس المقربون. لا لاحتياج منه سبحانه وافتقار، بل ليجعلك خليفة له، ويجملك بأخلاقه ويقربك إلى حضرته ويؤانسك بمشاهدته. ولم يكن ذلك الذي رغبك فيه وحببه إليك ، إلا قياما بنفع عام وخير شامل للعالم أجمع ليشعر قلبك الرحمة والحنان، ويكاشفك بأنه الفاعل المختار لكل شيء، وأن العالم كله كلمة من كلماته ومظهر من مظاهر آياته وصور تنبئ بقوته وقدرته، وبديع صنعه وانفراده سبحانه بالإيجاد والإمداد.

الإنسان مجمع الأضداد :

إن الإنسان مثنوي التركيب، فهو مجموعة من جسد جسماني ونفس روحانية وعقل بينهما رقيب، والنفس والجسد جوهران متضادان في الصفات، متباينان في الغايات مشتركان في الأفعال العارضة وفى الصفات بلا مفاوضة، فالإنسان بمقتضى جسده الجسماني ميال بطبعه الحيواني إلى البقاء فى الحياة الدنيا، وكانت معصية آدم في الجنة لتلك البغية، فخلوده في الدنيا متمناه، فيرتكب لأجل ذلك من الرذائل ما لا يرضاه الله، وهذا هو مطلب الجسم الدنى وقصد الإنسان الغوي.

أما الروح فهو من أجلها طالب للدار الآخرة وبغيته الوصول إليها بالقلب اليقظ والعين الساهرة، ولذلك ترى أكثر شئون الإنسان مثنوية متتابعة، بين حيوانية وروحانية، فهو بين حياة وممات ونوم ويقظة، وعلم وجهالات، وتذكرة وغفلة، وعقل وحماقة، وفجور وعفة، وبخل وسخاء، وألم ولذة، فتراه مترددا بين صداقة وعداوة، وذكاء وغباوة، وفقر وغناء، وبسط وغنى، وخوف ورجاء، وصدق وافتراء، وهرم وشباب، ومعصية فمتاب،خطأ

وصواب، وحق وباطل، وقبح وحسن، جمع الله فيه الأضداد وتفضل عليه بخير الإمداد أسجد الله له ملائكته لما خلقه فيه من العجائب، وحير فيه الحجا لما أودع فيه من الغرائب، فتراه بين راق يتكلم في رقيه مع الله شفاها وبين هاو إلى حضيض الأسفلين سفاها.

الإنسان الكامل كهيئة الأرواح العالية:

هذا ما قرره العلماء ومن شهد مشهد الأسماء والصفات بعد التزكية والتحلي بمشهد أهل الحكمة ثم التوحيد ثم التوفيق، يعلم أسرار الحكمة وأنوار القدرة المنبلجة في كل رتبة من رتب الوجود، ولديها يتحقق أن الإنسان الكامل كعبة الأرواح العالية وسدرة منتهى علوم الخلائق من عالم الإنس والجن والملائكة الروحانيين أجمعين، والأولى ترك الاعتراض على أهل كل مشرب فإن لكل فرقة مشهد تجلت لهم حقيقته .لا تقوم لهم به الحجة على غيره إلا إذا تزكت النفس التي أهلت لشهوده، ومن

أراد أن يجمل إخوته المؤمنين بما جمله الله به من العلم والحكمة والمعرفة فالأولى له ترك

الجدل الذي ذمه الله تعالى وذم أهله، وعليه أن يهتم بتأليفهم وتزكية نفوسهم إن كان ممن منحهم الله البيان والعمل كما قال الله تعالى: (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)(سورة آل عمران ١٠٤) فإذا تزكت نفوسهم ضرب لهم الأمثال المشوقة إلى ما يريد أن يبن لهم من الحق فإذا اطمأنت قلوبهم شرح لهم ما هم في حاجة إليه بقدرهم، وهى طريق الربانين الراسخين في العلم وألا يشوش على إخوانه المؤمنين ويدعوه جهله إلى تفرقتهم فيكون من الذين قال الله فيهم : (إن الذين فوقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء)(سورة الأنعام آية ١٥٩) والله سبحانه وتعالى يمنحنا التوفيق لما يحب إنه مجيب الدعاء .

الباب الخامس
مواجيد في الإنسان
للأمام المجدد السيد محمد ماضي أبو العزائم

الإنسان هيكل من طين فيه نفخة من رب العالمين

أيا أيها الإنسان من طين — تكونت كي ترأي مظاهر أسراري
ومن نطفة أنشئت آيا جلية — وصرت بمحض الفضل حصن قرار
تدبر فأنت الطين والماء فاشهدن — جمالي وإحساني وسري وأنواري
أكنت سميعاً أو بصيراً وعالماً — ولكني أنعمت بالمدار
نسيت جمال الله فيك يتقظن — فمن ينسيه يلقي سعير النار
أيا طينة الصلصال من بجماله — تحليت بالأنوار بعد فخار
أتنسي مفيض الفضل والجود والعطا — وتهجر أورادي وتترك أذكاري
وللدون والدنيا تميل وترتجي — نوال الرضا والعفو إحسان غفار
تذكر جميلي من "الست" وبعدها — وتابع سبيلي مخلصا ياساري
ولا تنسي إحساني إليك ورحمتي — وكن مخلصا في خفية وجهاري

ولا تشتغل بسواي ترفع للعلا وتحظي بفضلي صحبة الأخيار
فلا ينسي إحسان الجميل وفضله سوي مبعد أو جاهل ومماري

خلق الله آدم علي صورة الرحمن

يا صورة الرحمن والنور العلي ياسدرة الأوصاف والغيب الجلي
فيك العوالم كلها طويت فهل أدركت سراً فيك من معني الولي
خفيت بذاك من معاني القدس لا يشهدن إلا لذي قلب خلي
أأنست بالأكوان بعد شهوده وسجود أملاك العلي بتنزل
أولا سمعت "ألست" عند شهوده تومي بأن القدس أول منزل
هاجر سكونك للكيان وبادرن بالعزم كي تسكن بوطن أول
فيك المعاني مشرقات بالذي يرقي به أهل الصفا بتأهل

يا أيها الماء
المهين من الذي سواك

يا أيها الماء المهين من الذي سواك ومن الذي في ظلمة الأحشاء قد ووالاك؟
يا نطفة بقرارها قد صورت من ذا الذي بحنانه أشاك؟
يا صورة من حسنة قد جملت من ذا الذي بجماله حلاك؟
يا أيها الإنسان صرت مقرباً فمن الذي بشهوده رقاك؟
ومن الذي بألست أسمعك الندا ومن الذي لوصاله ناداك؟
ون الذي تعصي ويغفر دائماً ومن الذي ينسي ولا ينساك؟
ومن الذي يدنوا إليك بفضله وإذا سالت جنابه أرضاك؟
ومن الذي عند الشدائد يقصدن ومن الذي إن تسألن لباك؟
ونم الذي منح الجمال بفضله ومن الذي بتلطف أحياك؟
ومن الذي شق العيون فأبصرت ومن الذي بظهوره أعلاك؟
ومن الذي غذاك من نعمائه ومن الكروب جميعها أنجاك؟
ومن المجيب إذا سالت بسرعةٍ وإذا طلبت وداده أعطاك؟
ومن الذي كشف الحجاب تودداً حتى رأت أنواره عيناك؟
ومن الذي ملأ الفؤاد بحبه وبقربه عند الصفا ناجاك؟
ومن الذي والاك نور يقينه وبذكره وبشهوده صافاك؟
فكر نراه ظاهراً بجماله متنزلاً وهو الذي والاك
بك قد سمعت لك إعترفت فنظرةً تعطي بها يا سيدي جدواك
يا ظاهراً بجماله متوداً جلل الرضا يا سيدي نعماك
يا باطناً بكماله ومنزهاً أشهد عيون الروح سر علاك
أنت الولي تولنا بحنانة حتى نري حال الصفا معناك
عجبا لنا وألست نورمشرق نسهو أيا موالي أو ننساك
والوجه أشرق حولنا بجماله وعيوننا قد تشهد الأملاك
تنزلن يتحية من ربها يامن رأيت جمالنا بشراك

صلي علي المحبوب نور قلوبنا طه الذي بجماله حلاك

حقائق الإنسان
"الحس"

يا حس في الملكوت كم أونست بالوجه في نور الصفا ووجهت
يا حس كنت مواجها بعوالم من نوره الأعلى بها خصصت
يا حس يوم العهد حيث " ألست" قد بايعت مختاراً وقد عوهدت
أهبطت بعد مشاهد قدسية حتى إلي دار الفنا أنزلت
كيف التسلي بعد رؤية وجهه في صفو إيناس به أكرمت
كل الملائكة سجداً لك رغبة لما لهم سر البها بينت
أنبأتهم بالغيب حتى حققوا هلا لمت عاهتهم وفيت
كيف التسلي بالدنيء وإنه فان وبالوجه العلي نعمت
من طينة الفخار هيكلك الجلي من نوره بيديه فضلا صغت
فيك المعاني شوهدت لملائك أولي بها يا حس لو أدركت
فيك الجمال أضاء نوراً ظاهراً للعالمين فهل لها سخرت
يا صورة الرحمن تحجب بالدني للقدس والزلفي به أوجدت
خل الدني مسارعاً لحظائر فيها البقا فيها لقد رغبت
يا حس تحجبك المظاهر ناسيا عهد التجلي حيث قد ووثقت
الكل سخر طائعا لك مقبلا لله يا إنسان قد جملت
لا يشغلنك كل ما هو كائن عمن خلقت له وقد جملت
لله ربك انت مخلوق فكن عبداً خلقت له فقربه أهلت
يا حس فيك غوامض الأسرار لو فكت رموزك نورها أبصرت
أنشئت صورة حسن من هو قادر كنز لسر الغيب فيه ظهرت
أحببه تشهد وجهه لك ظاهراً لم يحجبن في حيثما وليت
كن عبده يكن الوجود بأسره طوعاً لأمرك حيث شئت وجدت
الحب فيه بالاتحاد منزها عن درك غيب الغيب هل أدركت
النور أشرق فيك للملأ العلي فتنعموا بجماله وحجبت
الغيب فيك بدا لكل مؤلهٍ لو لحظة أقبلت قلت وصلت
كيف التسلي بعد؟ أن لاح البها في طينة بنزاهة وشهدت
ليست "ألست" بعيدة عمن صفا أنوراها لاحت وأنت علمت
نص القرآن مبين لأولي النهي والمصطفي المختار منه سعدت

حقائق الإنسان
"الهيكل"

هيكلي رسمي مشير للجمال فيه غيب الغيب نور الإتصال
فيه نفخته العلية أشرقت أنبأتني أنيي كنز اللآل
هيكلي رمز لكنز مجمل حالة التفصيل يحلو لي الوصال
أشهد المعني به قد سطرت وهو لوح الآي سر المتعال
صورة الإشراق من بدء إلي أن يلوح النور من غير الخيال

وهو حان للطهور إذا صفا
من دواعي الحس من فيء الظلال
هيكلي السدرة تغشي بالضيا
إن تجردت اللطيفة من ضلال
يشرق الزيت المضيء به علي
عالم الأعلى بحق لا مثال
باليدين وفيه نفخة قدسه
فهو مشكاة ببدء ومآل
فيه بيت الله معمور به
عرشه الاعلى وكرسي انفصال
فصله قرب له في حظوة
رتبة العبد بها نيل الكمال
حكمة الإظهار فيه أشرقت
أنه العبد فذق فحوي المقال
حفظ رتبتي التي هي رفعتي
رفعة القدر بها في كل حال
جنة الرضوان تمنح نعمة
لي بها في الكون من قبل انتقال
والعبودة حظوة الزلفي التي
خصصت للعبد من غير سؤال
وي تحجبني العناصر وهي لي
موجب الجذبة سر الإتصال
والعناية سر إقبالي علي
قابل التوب القريب المتعال
قبل نشأة أولي في مبدئي
كنت ملحوظا بها في الإمتثال
أيها النفخة يا شمس البها
أشرقي في هيكلي هذا الجمال
هيكلي يا أفق أعلي أنت لي
لوحة المحظوظ سفلك صار عال

حقائق الإنسان
"الهيكل"

أنت يا هيكلي دنان مدامي
فيك غيب به يدوم هيامي
فيك نور المجلي وغيب التجلي
جمع ضدين في شهود اصطلامى
فيك راح الأرواح حال التجلي
بالتخلي عن عنصر ورغام
أفق شمس الأخفي لكل منيب
كعبة الروح حالة الإحرام
طاف عالون حولها في التداني
عند رشف الطهور رفع علي اللثام
آه يا هيكلي وفيك كنوز
رمزها الظل في علي المقام
تشهدن نورك الجلي نفوس
قد تزكت من موجب الأوهام
أنت يا هيكلي محيط محاط
بالمعاني والعرش بعض الفدام
لو تجلت للروح منك معانٍ
حجب النور حيطة الأعلام
كل ما في الوجود علوا وسفلاً
بعض ما فيك من جمال السلام
أنت في العين قد تحاط بكونٍ
ذاك طلسم كنز غيب سام
تشهد الروح منك نور التجلي
إن تهنت برشف صافي المدام
آه والغيب مشهدي في اتحادي
والجميل العلي كل مرامي
أشرق النور بالظهور بمعني
من بطونٍ به حلالي ملامي
صار معني الظهور عين بطوني
بالتجلي وفي بطوني مقامي
أظهر المقتضي بأفقي بيانًا
في عيانٍ محصنٍ باعتصامي
عبد ذاتٍ والذل عزي ومجدي
بل أنا الطين وابتدئي ختامي
جامع بين مظهرٍ وظهورٍ
من معاني الأسما من الإسلام
أسلم العبد للولي تعالي
وجه الوجه رهبة الإعظام
آه والعبد في مقام التداني
جهله العلم رهبتي إكرامي
بين رهبٍ ورغبةٍ وخنوعٍ
صورة جملت بفحوي كلامي
آه والكون لوح محفوظ آيٍ
بالتجلي بالذوق لا الإفهام
حيطتي الوجه والجميل تعالي
في جلال العظموت دع لوامي

ذاك حالي إذا أضاءت نعوتي بحت لكن أخفي علي مقامي

حقائق الإنسان " الروح... الهيكل... النفخة"

أيا روح بالناسوت نيل شهودي له فاظهري بالكشف حال وجودي
أيا روح ناسوتي هو المثل العلي وأنت له المصباح في تفريدي
أيا روح رفقا بي فإني زجاجة نورك إشراق بلا تحديد
أيا روح بدءاً لم تطقك ملائك فكيف يطيق الجسم في تجديد
نعم هيكلي المشكاة جماله ونفخة لاحت بلا تقييد

حقائق الإنسان
" الروح... الجسم... العقل... النفخة العليا"

لروحي عين تشهد الغيب والخفا وفي الرأس عين تشهد الحظ والجفا
وللعقل عين تدرك الوسط الذي تستر بالأكوان إن صح لي الوفا
وللنفخة العليا عيون مضيئة تشير إلي المجلي إذا لاح لي الصفا
أنا الوسط الغيب المصون عن النهي إليَّ انتهي علم الخلائق فانتفي
لأني مشكاة المثال مجمل بأبدع إبداع يلوح لمصطفي
خفيت عن الألباب قدراً ونشأةً فلم يعرفن قدري وقدري قد اختفي
أنا الرمز مرآة الحقائق كلها ولي سخر العالون جاوزت رفرفا
حقيقة إنسانيتي دونها النهي وفي هرمي والسقم أسأله الشفا
ومن طينة الصلصال ربي صاغني ليظهر في السفل الدنيء لمن صفا

حقائق الإنسان
" الخيال...الجنان...الوهم.. العقل... النفس.. الروح"

مثَّل خيالي المباني رتَّل جناني المثاني
صور أيا وهم معنًي لاحت بكون دان
يا عقل فاعقل غيربا في حيطة الأكوان
يا نفس سوحي رويداً في عالم الإمكان
يا روح فري إلي ما لم يدركن للفاني
غيب التجلي وغيب من فوق غيب الجنان
قد أبدع الكون ربي ينبي الفتي الروحاني
بالآي فيه تراءت تهدي إلي البرهان
والآي تجلي علومًا تبدي جمال المعاني
وي يا نبات اكشفن لي من سرك التبياني
كالأنجم الزهر زهر والغصن كالعقيان
بل ريحة المسك طابت أرجاؤنا في التداني

بدء الحقيقة الإنسانية

في هيكلي الآي تجلي للمرادينا ... في جوهر النفس أسرار لعالينا
صوغ اليدين نعم رسمي تلوح به ... شمس التجلي لأفرادٍ وراضينا
في البدء كنت ضيا معناه متحداً ... في القدس منفرداً أدعوه آمينا
من قبل نشأتي الأول أواجهه ... من غير حجب ونور القدس نادينا
بدءاً أنا صورةٌ للحق أظهرها ... بل سدرة غشيت من غيب هادينا
من قبل "كن" كنت في كينونتي أجلي ... نوراً لأسمائه في آي ياسينا
في العهد فصلي وفي الميثاق أشهدني ... معني تنزله دنياي والدنيا
حتى انفصلت فكنت الكنز طلسمي ... مشكاته فيه زيت الغيب مأمونا
أظهرت مظهره ينبي بساطعةٍ ... من غيب أوصافه والحق والينا
أياته أشرقت للعقل داعيةً ... للغيب في مظهر التقريب مضنونا
أجليت للملإ الأعلى غوامضه ... لي سخر الملك تحديداً وتكوينا
رق به آية التبيان ظاهرةٌ ... منشور آيته فاشهده مكنونا
ما بين روحي ورسمي برزخ المجلي ... حصن الشريعة يجلي فيه تعيينا

عناصر الوجود الإنساني

أنا أنا من نطفة من طين ... من نورك العالي لدي التعين
آي العجائب فوق عقلي حكمة ... أوجدتني لعمارة التكوين
أظهرت أوصاف المعاني للنهي ... حتى تحير عقل كل أمين
جمعت أضداد الوجود بأسرها ... في هيكل بادٍ تراه عيوني
ماء ونار بل تراب والهوا ... جمعت بقدرة ذي الجلال متين
طبعي خبيث والنفوس غوية ... والروح نفخة ربنا للدين
أعصي فتغفر لي أسيء تنيب بي ... فضلا إلي الإحسان حصن أمين
نفسي ظلمت وأنت تعفو سيدي ... بالفضل تنجيني من التلوين
وأفر منك إلي الهوي فتعيدني ... بالفضل منك إلي الصفا التمكين
وأجدتني أظهرت قدرتك التي ... قد حيرت عقلي لدي تعييني
أنا من؟ ظلوم جاهل يا سيدي ... أنت الغفور أدر طهور معين
أنساك توليني جمالاً ظاهراً ... وتفيض خير الفضل جود معين
في لحظةٍ وأقل ترفع مخطئاً ... للحظوة الكبري بنور مبين
في طرفةٍ وأقل أهوي هالكاً ... لولا العناية بؤت في سجين
أعجزتني عن شكر فضلك سيدي ... قد صرت من نعماك كالمجنون
حمداً لذاتك بل وشكراً سيدي ... أشهد عيوني باطن المكنون
حتى أكون لك العبيد مجملاً ... بجمالك العالي إليك سكوني
ألق علي محبة هب لي العطا ... حتى أكون مؤيداً للدين

مقتضيات الوجود الإنساني

هيكلي في وجوده التعييني مقتضاه يدعو ظهور بطوني
بين نوعين من علو وسفلٍ حيث وسط بنص حكم الدين
حيطتي ظاهراً هي السور تقتصي أنني صورة لمعني الشئون
تدع نفسي لمقتضاها لأني يتجلي بمظهري تمكيني
قلبي الأفق بالأواسط دوماً يرتقي بالشئون رتب اليقين
ذاك معني ظهور هيكل نفسي وبطوني مفارق تكويني
مقتضي ظاهري به شغل سري بامتزاج التمكين بالتلوين
حكمة المقتضي تدق خفاءً عن شهود العقول كشف العيون
سر بشريتي يلازم نفسي كيف تصفو من سور تلك الحصون
يسرن مقتضي ظهوري بودٍ يحلو منه إليك ثم سكوني
أحلي قلبي فضلاً بما تمنحه رب ودًا يدوم منه يقيني
يصف سري لله ربي تعالي من دواعي لوازم التكوين
كل فردٍ يرجو المزيد لتقوي روحه في شهود نور الأمين
كيف أصفو وهيكلي مقتضاه حجب نفسي لأنه من طين
زك نفسي من مقتضي كل سفلٍ بالعطايا فضلاً"بكافٍ" "ونون"
روحنها بالروح منك وأسبغ واسع الفضل أنت ربي معيني
أظهرن آية القدير إلهي والولي المجيب يسر شئوني
لي تجل بمنعم ووليٍ لي تنزل وجددن تمكيني
ثبت القلب بالعواطفٍ ربي قلبنه في نور حق اليقين
واجه العبد بالجمال وأيده بروح بها علو الدين
يا مجيب المضطر أدعوك ربي باضطراري وفاقتي وشجوني
أنت يا سيدي القريب مجيب فاستجب سيدي لداع مهين
جددن بي نهج الحبيب وأيد بي إلهي بسرك المكنون
فرح العبد منك بالفضل ربي أظهرنه بما يري للعيون
نص آي تتلي بوعد كريم سر معني استخلاف أهل اليمين
وعد ربي للمؤمنين بآي تتلي دوما من الكتاب المبين
طمئن القلب يا سريع ويسر سؤل عبدٍ في لهفةٍ وحنين
يسال الله فضله ورضاه بالمراد الشفيع طه الأمين
صل ربي علي الشفيع المرجي سيد الرسل أفق شمس الدين

اطوار الوجود الإنساني

تطورت في أدوار أول نشأتي وكنت ضياء مشرقا في الحظيرة
وفي سر أطوراي بيان لآله تحلي بمعني غيب سدرة صورتي
أدور في سر التجلي تنقلي وحولي نور الوجه من غير حيطة
علَّي لقد صلي وفي الغيب محتدي صلاة بها أخرجت من قاف رتبتي
ولم أك في حال التجلي بظاهر لغيري وفي الأخفي تراءت حقيقتي
خفيت وفي الأسما ظهوري بظاهر ظهرت وفي سر البطون معيتي
وما أنا في غيبي سوي نور مقتضي معاني التجلي في خفا آدميتي

تنقلت والأسماؤ مشهدي الذي
أراه بلا كيف لا رمز نسبتي
معاليم تنزيه تلوح بلا خفا
وأنوار تشبيه بمعني عليه
فما أنا في بدئي بلون لأنني
بلا فصل والنور المقدس وجهتي
ولا وصل حيث الوجه بالنور مشرق
فحجب عني نسبتي الأولية
فكاني في بطوني مشهد بنزاهة
ولي في ظهوري مشهد نشوتي
فلا الكون يحجب ما شهدت بداية
ولا النور يحجب عن عيوني طينتي
تحيط بي الأنوار والوجه مشرق
قبيل"ألست" في خفا آدميتي
ولي مشهد من دونه العقل ساجد
وفي ترك تركي فالجلالة بغيتي
أحن إلي بدئي الذي كنت أولاً
به قبل أن ظهرت صوي بشريتي
حنين إلي نور الجلالة محرق
فأواه لو منت علي بعودتي
وفي نص آي" كما بدأنا" إشارة
إلي نار أشواقي ونيران حيرتي
تحيط بي الأسوار والغيب نوره
بمن لا يحيط العرش منه بآية
وسعت أيا قلبي جمالاً مقدساً
لقد ضاق عنه العرش أجمل وسعة

من المضنون في رمز آدم

علي أحسن التقويم صغت حقيقتي
وأبدعتني مثلاً بسر الحكمة
وجملتني بالآي أظهر خفيها
لأشهد سر البدء في سور رتبتي
تفضلت بداءاً اصغتني بيديك في
مقام حنانٍ من واطف رحمة
فأظهر لروحي سر بدئي أولا
لأشهد بالعينين حكمة نشأتي
بنعمتك الأولي لدي البدء سيدي
تفضل بنعمي حب ذاتٍ علية
تفضل وجملني ظهوراً ومشهداً
به أتهني في رياض الحظيرة
سألتك مضطراً أعدني مجملاً
بسابقة الحسني وخير المعونة
وأشهد عيوني ظاهراً بل وباطناً
جمال ظهور الإصطفا لحقيقتي
لك الحمد أسعدني بحبك وارفعن
بفضلك قدر العبد رتب العبودة
وسيلتي القرآن والمصطفي الذي
أتي بالهدي والنور نور الشريعة
تفضل وأظهرن وأظهر بي الهدي
وحصن عبيدك من عناءٍ وشدة
أذل خصوم المسلمين أعزنا
ومكن لنا ربي بآي الشريعة
وصل علي طه الحبيب محمدٍ
صلاة بها نحظي بفضلٍ ووسعة

من المضنون في رمز آدم

في أحسن التقويم صاغ حقيقتي
بدءاً ليظهر سره في سدرتي
فيها أنا المثل العلي لحسنه
قد كنت نوراً ظاهراً في نشأتي
لما أكلت من المعالم ردني
للأرض كيما أن يكمل رتبتي
بي قدست لما تجلي ظاهراً
بالوصف غيبني بسر هويتي
ظهر الجميل بصورة قدسيةٍ
للعالم الأعلي برمز الرتبة
في رسمي الأدني تجلي وصفه
قد صاغه بيديه سر الحكمة
أنواره قد أشرقت في مظهرٍ
أخفي المباني في ضياء القدرة

من المضنون في رمز آدم

من أنا قبل الظهور أنا الجمال ... في سرادق مجده قدري مثال
أسجد الأملاك في جنته ... أسكن الرسم لديه في ظلال
ويح نفسي قد نهاني عن أنا ... صار أكلي البعد عنها في وبال
قد أكلت ثمار سدرتي التي ... كانت الصورة في حال الوصال
وي وعدت لأصلي الداني الذي ... صرت فيه في شقاءٍ في اعتدال
تبت تاب علي جل جلاله ... أشهد الحكمة في رمز المقال
حبه في الأمر والنهي إذا ... قمت بالأمر وخالفت الخيال
وأنا المقهور أفعل ما يشا ... عبده والعبد في حصن العقال
في جهاد النفس وهي أبية ... حفظه بالفضل منه قد ينال
وي وفي رسمي غوامض غيبه ... كنزه الأعلي يفك بلا انفصال
يظهر الظاهر للروح يري ... أشرقت شمس الجميل بكب حال
حبه يوليه منه منةً ... لأولي القرب فيعطون الجمال
أظهرا لي الغيب في نفسي وفي ... تلكمو الآثار من قبل السؤال
حيث قد أبدعتني لك صورةً ... تشهد الأعلين غيبك في انفصال

"تم بحمد الله وحسن توفيقه"